محاور الرؤية والتشكيل
في ديوان بشائر النور
للشاعر الدكتور جابر البراجة

إعداد الدكتورة

ناهد محمد مهدي

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بنات الزقازيق

محاور الرؤية والتشكيل في ديوان بشائر النور للشاعر الدكتور جابر البراجة"

ناهد محمد مهدي

قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر .

البريد الإلكتروني

nahedmohamed.67@azhar.edu.eg

الملخص:

لما كان الأدب بوجه عام تعبير عن الواقع بمكوناته الثقافية والاجتماعية والسياسية، والشعر على وجه الخصوص يوجه قيثارة الشاعر، فيعزف عليها بآماله وآلامه، كان هذا البحث حول:" محاور الرؤية والتشكيل في ديوان بشائر النور للشاعر الدكتور جابر البراجة" ومما دفعني لتناول هذا الموضوع ظهور ذاتية الشاعر بوضوح حين يحلق في الآفاق ليدرك معنى الحياة ويخلع عليها من شعره ما يلبسها أثواب البهجة تارة، والقمة والانطلاق في آفاق العالم الرحيب تارة أخرى، متناولا كافة الجوانب التي يمر بها في حياته ومالها من صلات وثيقة بمجتمعه الذي يعيش فيه . ومن هنا تناولت العديد من المحاور من حيث التشكيل والرؤية كالمحور الديني، والمحور الاجتماعي والوطني والقومية العربية وغيرها من المحاور البارزة في ديوانه، ثم تناولت الجوانب الفنية التي تمثلت في المعجم الشعري والإيقاع والصورة والرمز، ثم أتبعت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج المستخلصة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : الرؤيا – التشكيل – الديني – الاجتماعي – المعجم الشعري – الإيقاع – الرمز – الصورة .

The Pillars of Vision and Composition in the Poetical Works; "Light Magnificence"

By the poet Dr. Gaber El-Bragha
Nahed Muhammad Mahdi , Literature and Criticism Department, Zagazig Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls,Al- Azhar University, Egypt.

E-mail: nahedmohamed.67@azhar.edu.eg

Abstract:

Generally speaking, literature expresses real life with its cultural, social and political aspects. As for poetry, it directs the poet's guitar to play for his hopes and pains. Therefore, my study is about the pillars of vision and composition in the poetical works; "Light Magnificence" by the poet, Dr. Gaber El-Bragha. What has urged me to tackle this subject is that the poet's being is obviously apparent when he flies in the horizon to realize the meaning of life. At this time, he puts down on life his poetry to make it sometimes glitters with joy or to rise and fly high in the horizon of the marvelous globe. Composing poetry by this way, the poet depicts all the aspects of his life and its trustworthy relations with his society in which he lives. Thus, I dealt with so many pillars concerning composition and vision such as the religious, the social, the native, the national, the Arabic and the other prominent pillars in this poetical works. Then, I dealt with the artistic sides which are presented in the poetical dictionary, the

rhythm, the image and the symbol. Finally in the conclusion, I introduced the most abstracted results and a list of resources and reference books.

Key words: Vision, Poetry, Composition, Religious, Social, Poetic Dictionary, Symbol, Image

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلغة العرب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح من نطق بالضاد وخطب، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ...

فإنه لما كان للشـــعر العربي مكانة متقدمة في المجتمع العربي، حين عبر عن موضوعاته وقضاياه القومية والسياسية والاجتماعية برز الكثير من الشعراء الذين يدعون إلى حياة أفضل تسودها الحرية والسلام .

وكان لشـــعراء الأزهر الشـــريف دورهم في معالجة الكثير من القضـــايا الاجتماعية والسـياسـية والدينية، حين حملوا لواء الشـعر يعبرون به عن معاني الحياة في مختلف المجالات، وإن كانت لم تسلط الأضواء على الكثيرين منهم، ومن هؤلاء الشـعراء الشـاعر المبدع الدكتور / جابر محمد محمود البراجة الذي يعد علما من أعلام اللغة في الأزهر وواحدا من شـعرائه الذين لم تسـلط عليهم الأضواء .

ومن هنا كان هذا البحث حول ديوانه " بشائر النور " الذي يفيض بمشاعره الجياشـة الممزوجة بالحيوية والقيم الروحية التي أقامها الإسـلام، وجاءت تجربته متنوعة بين الرؤية الإسلامية، والوطنية والذاتية .

وجاءت هذه الدراســـة تحت عنوان " محاور الرؤية والتشـــكيل في ديوان بشائر النور للشاعر الدكتور جابر البراجة " .

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع :

١- بيان دور شعراء الأزهر في التفاعل مع مجتمعاتهم، وتصوير ما يدور فيها من أحداث شكلت تجربتهم الشعرية بمحاورها الموضوعية والفنية .

٢- قلة الدراسات البحثية والنقدية حول شعراء الأزهر وعدم العناية بإبداعاتهم التي تميزت بالثراء الفكري والفني، واشتمالها على القيم والمثل التي ترقى بالذوق الأبي والخلق .

٣- الكشف عن موهبة شعرية كبيرة بما تملكه من فضاءات إبداعية تستحق الوقوف أمامها للكشف عنها ووضعها في دائرة الضوء .

وقد جاءت خطة البحث كما يلي :

مقدمة :

تمهيد : تحدثت فيه عن الشاعر البراجة مولده وبيئته ومؤلفاته .

الفصل الأول : معالم المضمون الشعري في ديوان " بشائر النور "

وجاء تحته :

المبحث الأول : المحور الديني .

المبحث الثاني : المحور الوطني .

المبحث الثالث : محور المراثي .

المبحث الرابع : شعر القومية العربية .

المبحث الخامس : المحور الاجتماعي .

ثم كان الفصل الثاني : معالم التشكيل الفني في ديوان بشائر النور .

وجاء تحته :

المبحث الأول: المعجم الشعري .

المبحث الثاني : الصورة الفنية .

المبحث الثالث : التشكيل الإيقاعي .

ثم الخاتمة وما تضمنته من نتائج وتوصيات .

والله من وراء القصد فهو نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

د/ جابر محمود البراجة : نشأته وآثاره

مولده وبيئته :

ولد في قرية إبيار، مركز كفر الزيات، محافظة الغربية يوم ١٦ إبريل ١٩٤٧ م، حفظ القرآن الكريم وهو في سن صغيره والتحق بالأزهر وتخرج في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٧٣م، وحصل على الإجازة العالية " الليسانس" بتقدير جيد جداً وعمل مدرساً للغة العربية في وزارة التربية والتعليم، ثم حصل على درجة التخصص الماجستير من الكلية نفسها بتقدير جيد جداً عام ١٩٨٠م، وكان موضوع الرسالة " مع النحو والنحاة في سورة الأعراف " وعين بعد ذلك مدرسا مساعداً في قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالزقازيق عام ١٩٨١م .

وفي عام ١٩٨٣م حصل على درجة العالية "الدكتوراة" في اللغويات من كلية اللغة العربية بالقاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، وكان موضوع الرسالة ت حقيق ودراسة الجزء الثاني من تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش " .

وقد عين مدرساً في قسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالزقازيق عام ١٩٨٤م، ثم حصل على درجة أستاذ مساعد في القسم نفسه عام ١٩٨٨م وفي العام نفسه أعير إلى كلية الآداب للبنات بالدمام في المملكة العربية السعودية، وعمل بها أستاذا مشاركاً للنحو والصرف في قسم اللغة العربية وآدابها .

وحصل على درجة أستاذ في اللغويات عام ١٩٩٤ م وبعدها عين رئيساً لقسم اللغويات في كلية اللغة العربية بالزقازيق، ثم أعير مرة أخرى إلى كلية اللغة العربية بالرياض عام ١٩٩٩م وعمل بها أستاذا للنحو والصرف حتى عام ٢٠٠٢م ومن خلال هذه الفترة أشرف على عدد من الرسائل العلمية ثم عاد إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق ليعمل أستاذاً ورئيساً لقسم اللغويات فيها، ثم عين مشرفاً على كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع القرين بالزقازيق وأحيل للتقاعد في ٢٠١٢/٧/٣١م، ويعمل الآن أستاذاً متفرغاً بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق .

مؤلفاته :

كتب د/ جابر البراجة العديد من المؤلفات العلمية منها :

١- من المسائل الخلافية بين الأخفش وسيبويه، مطبعة الشناوي، طنطا، ١٩٩٣م

٢- الشواهد النحوية واللغوية في شعر رؤية بن العجاج .

٣- ظاهرة التقديم بين النحويين والبلاغيين، مطبعة الشناوي، طنطا، ١٩٩٣ م .

٤- مخالفة الأصل في النحو والصرف.

٥- الاتجاهات البصرية عند الكسائي .

٦- الوقوف عند الصرفيين والقراء .

٧- المقتضب من كلام العرب " لابن جنى" دراسة وتحقيق .

٨- المحتسب في التصغير و النسب .

٩- دراسات لغوية في بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ١٩٩٩م .

١٠-من التعليلات النحوية عند سيبويه .
١١-الواو العاطفة بين الجمع والترتيب .
١٢-الوسط في تصريف الافعال .
١٣-محاضرات في النحو والصرف .
١٤-ديوان شعر " بشائر النور "، ط ٢ ، دار الزهراء للطباعة .

الدراسات التي كتبت عنه :

لم يحظ الشاعر د/ البراجة بأية دراسة عن شعره الذي يدور حول محاور عديدة مثل المحور الاجتماعي والسياسي والنوري والعروبة .... وشعره في حاجة لمزيد من الدراسات الأدبية والنقدية التي تظهر النتاج الأدبي لشاعر معاصر من شعراء الأزهر الشريف، ولعل هذه الدراسة " محاور الرؤية والتشكيل في ديوان بشائر النور " للشاعر الدكتور جابر محمود البراجة وهي الأولى التي تلقي الضوء على شعره بمزيد من الدقة والروية .

الباب الأول
معالم المضمون الشعري
في ديوان" بشائر النور
الفصل الأول
محاور الرؤية في الديوان

المبحث الأول : المحور الديني

المبحث الثاني : المحور الوطنى .

المبحث الثالث : محور المراثى .

المبحث الرابع : شعر القومية العربية.

المبحث الخامس : المحور الاجتماعى.

المبحث الأول
المحور الديني

يعد المحور الديني من المحاور الثرية التي اشتمل عليها ديوان " بشائر النور" للدكتور البراجة، وقد جاء هذا المحور متنوعاً، ما بين حديث عن الهجرة النبوية ورحلة الإسراء والمعراج، وفتح مكة، وليلة القدر، واستقبال عيد الفطر، وفضل الليالي العشر، وعيد الأضحى.

ولا يخفى أن سيرة الرسول (ﷺ) قد حفلت بكثير من الأحداث، والمشاهد التي سجلها التاريخ بحروف من نور، ومن أجلّ هذه الأحداث وأعظمها هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، تلك الهجرة التي كانت في حقيقتها ميلاد أمة، ومنطلق حضارة، ومبتدأ تاريخ المسلمين مدت فيه الحضارة الإسلامية الزاهية ظلالها على آفاق الأرض، هدياً وأمنا وقيما، وأخلاقاً، ولما كانت حادثة الهجرة النبوية حدثاً متجددا في نفس كل مسلم بعطاءاته المميزة، وذكرياته الخالدة، وآفاقه الرحبة وقف الشعراء أمامه وقفة الإجلال والإكبار يصورون أحداثه، ويبرزون معالمه، ويباهون بشخصياته، ورموزه، ويستلهمون عظاته، رغبة منهم في الوصول إلى واقع إسلامي مشرق مأمول .

وقد أبدع شاعرنا في تصويره لأحداث الهجرة النبوية من خلال قوله [1]

---

(١) ديوان بشائر النور أ.د/ جابر محمد محمود البراجة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ص ١٣ .

في ســـــاحةِ الغارِ العجيب نظر الصِـــــديق إلى الحبيـبْ

أَيـرانَـا قَـوْمـىَ هـاهُـنَـا في عُشِّـــنَا الهادِي الرَّحِيـبْ

عُشُّ اليَمَـامَـةِ قَـدْ بَـدَا قَصْـــراً تَراهُ إلى الْمَغِيـبْ

والـعَـنـكـبـوتُ بـفـرحـة نَسَـــج المَلاءَةَ للحسِـــيـبْ

يُضِـــــل قـومـاً مِـنـهُـمُ عَرَفُوا العَلَامَـةَ كـالطبِيـبْ

هَـيْـهَـاتَ مـا يَـرْجُـونَـهُ قَـدْ بَـاتَ فِكْرا لا يُصِـــيـبْ

لَـوْ أَنَّـهُـم نَـظَـرُوا هُـنَـا لَـبَـدَا لَـهُـمْ نـور الـحَـبـيـبْ

فالشاعر من خلال الأبيات السابقة يقدم لنا صورة حية لعداوة قريش وسعيها الدؤوب لإجهاض الدعوة المباركة من خلال هذه الألفاظ المليئة بالإيحاءات المعبرة عن شدة البغي وعن شدة توجس الرسول (ﷺ) وخوفه من أن يراه قومه، وقد تجلت هذه المضامين واضحة جلية من خلال عبارات " أيرانا قومي، عرفوا العلامة كالطبيب، لو أنهم نظروا هنا" .

كما نجد في الصورة التي وظفها في النص إسهاما كبيرا في التعبير عن عظم قدرة العناية الإلهية التي أحاطت الرفيقين أثناء اختباءهما في الغار، مثل

قوله " عش اليمامة قد بدا قصرا، والعنكبوت بفرحة نسج الملاءة للحبيب، ما يرجونه قد بات فكرا لا يصيب".

ولا يخفى كذلك اتكاء الشاعر في هذا التصوير على معطيات الصورة القرآنية وجمالها مثل قوله " عش اليمامة قد بدا قصرا تراه إلى المغيب"، فهو مأخوذ من قوله تعالى " فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ".

ومما يتصل بالمحور الديني حديث البراجة عن مولد الرسول (ﷺ)، حيث كان لمولده (ﷺ) حضور كبير في أدبنا العربي قديمه وحديثه، في نصوصه الشعرية والنثرية، بداية من شعر المسلمين الأوائل في صدر الإسلام، والعصرين الأموي والعباسي، مروراً بالعصور الوسطى المتتابعة (الفاطمي والأيوبي والمملوكي)، وصولا لشعرنا العربي الحديث .

هذا وقد تناول شاعرنا حديثه عن مولد الرسول (ﷺ) تناولاً استطاع من خلاله أن يلقي الضوء على هذا الحدث الذي غيّر مجرى التاريخ، وأخرج الناس من غياهب الجهل إلى نور العلم والمعرفة، فيقول [1] :

المولد النبوي يظهر نوره فيعم كل الكون بالنفحات

ويزيل ظلم الليل من جنباته فيجئ صبح باسم الثغرات

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٦ .

يضفي وينشر من سحائب فضله كرما يغطي سائر الجنبات

شرحت صدور الناس يوم قدومه وعلت بشائر فرحة وسمات

وتعطرت ارجاء مكة كلها وسرى أريج العطر في النسمات

بيت الوليد يزف بشرى مولد والجد يرقب حوله البركات

في موسم تأتي النساء بركبها لتضم طفلا يذهب الفاقات

قد كان بيت السعد قبل محمد قمراً فأصبح ظافراً بهبات

هذ ى بشائر دعوة في مهدها تبني بأنه خاتم البعثات

فالشاعر في هذه الأبيات يقدم لنا صورة واضحة للبشريات التي ملأت البشرية بقدوم النبي (ﷺ)، وكذلك نلمح منحى الصدق والإخلاص الذي يتسم به شاعرنا وهو يتحدث عن نبي الإنسانية، وصفاته، وشمائله وكفاحه في سبيل نشر الدعوة والدين الحنيف، ففي البداية تناول الإشراقات التي أحاطت البشرية بقدوم النبي (ﷺ)، فالنور هلّ بقدومه وظلمات الجهل قد انقشعت، والصدور انشرحت بقدومه، وأرجاء مكة ملأها الفرح والسرور، وتحولت الأحوال إلى أفضلها.

وقد استعان الشاعر في إبراز معانيه بأساليب عدة، منها أساليب تدل على البشر والسرور مثل " شرحت صدور الناس يوم قدومه، تعطرت أرجاء مكة، بشائر دعوة، ومنها أساليب تدل على تبدل الأحوال مثل قوله :[1]

ويزيل ظلم الليل من جنباته فيجئ صبح باسم الثغرات

ثم يكمل شاعرنا حديثه عن ميلاده (ﷺ) متحدثا عن مدى الذعر الذي أحاط بالسيدة حليمة السعدية التي كانت تخشى على رضيعها من كل شيء، فيقول :

لكن سعد حليمة قد خانها فالكل فزن بصفوة الطبقات

لم يبق إلا ذا اليتيم محمد يارب هون هذه العثرات

يتم الوليد ينير ذعر حليمة لكن ربك واسع الرحمات

تجري المطايا غير أن مطيها فاقت جميع الأتن في الخطوات

شيماء بنت السعد ترقب شاتها فتراها باتت تحمل اللبنات

(١) المصدر السابق .

فحليمة السعدية أحاط بها الرعب من كل جانب، فغيرها من المرضعات قد فزن بأبناء الصفوة، ولم يبق لها سوى ذلك اليتيم الذي كان بمثابة الضياء الذي أضاء حياتها، والبركة التي حلت بديارها، فمطيتها التي كان يعتريها الضعف والهزال، وكان ضرعها فارغا من اللبن أصبحت في قمة نشاطها واللبن يملأ ضرعها، وكذلك فاقت في سرعتها أقرانها .

ومما يتصل بالجانب الديني حديث الشاعر الدكتور / البراجة عن رحلتي الإسراء والمعراج، تلك الرحلة التي تناولتها أقلام الشعراء بمزيد من التبجيل والإكرام .

يقول شاعرنا : (١)

في ليلة طلب الحبيب محمد ليكون ضيفا في علا السَّمَواتِ

فأتاه جبريل الأمين بركبه ليجيب دعوة ربه بثبات

هل تعرفون لماذا كان الملتقى إن الحبيب يمر بالأزمات

بالأمس مات مدافع عنه حوضه عم أبان الحب في الوقفات

واليوم فقد خليلة محبوبته بنت الخويلد صفوة الأمات

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٨ .

يتضح من خلال الأبيات أن شاعرنا تناول حدث الإسراء والمعراج من منظور نفسي، حيث تحدث بداية عن عام الحزن الذي مات فيه عم الرسول وزوجه السيدة خديجة، ثم أردف ذلك ببيان أن هذا الحدث كان بمثابة إزالة الهم والحزن عن قلبه (ﷺ) فكانت هذه الرحلة السماوية تكريما له من ربه وتثبيتا له، وتذكيرا لمن يأتي بعده من أتباعه .

يقول : [1]

من أرض مكة صار ركب محمد ليزيل عنه الهم والعبرات

لقد كان تأثر البراجة بمعجزة الإسراء والمعراج كبيرا، وظل يقين الإيمان بالمعجزة الإيمانية نابضا بالإبهار والإثارة والتشويق، وطفق يستلهم قيم الحق والصبر والإيمان والطموح واليقين من أحداثها ومقدماتها وآثارها بعثا للتفاؤل والأمل ودفعا لليأس والملل .

ولأن الرحلة المشهودة كانت تشمل العديد من الأحداث المثيرة فقد أخذ الشاعر في تفصيل الأحداث التي مرت بصاحب الرحلة، من رؤيته لجميع الرسل، وصعوده إلى السموات العلا، بقيادة إلهية من جبريل عليه السلام، يقول: [2]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السابق، ص ١٩ .

ويســـير ركب حبيبنا في همة	حتى يؤم الجمع في الصـــلوات
فترى جميع الرسـل في اسـتقباله	وترى أمين الركب في بســمات
وبفطرة يختــار من بين القرى	لبنـا يســـوع شـــرابـه للـذات
ويواصـــل المحبوب رحلة عمره	ويقوده جبريـل في الســموات
حتى إذا وصـــلا نهاية ســبعة	وقف الأمين وثبــت الخطوات
ليقول حَذِّي هاهنا في الصـــحبة	إن المقام لصـــاحب العزمات

فالعاطفة هنا جياشة تعلوها روح الأمل والتفاؤل حيث برع شاعرنا في التعبير والتصوير الذي يفيض حركة وحيوية ويتضح ذلك من خلال قوله (ويواصل، ويقوده، وصلا، وقف الأمين).

فهذه الأفعال تنبض بالحركة والحيوية، فكان الشـــاعر أكثر توفيقا، أضف إلى ذلك، براعته في رسم صورة إمامة الرسول (ﷺ) للأنبياء في السموات العلا، وهذا يدل على أن الله يفتح له أبواب السـماء والأرض ويطوي له الأرض طيا ويخرق الناموس بحوله وقوته وتحتفي به الأرض والسماء .

إن معجزة الإســراء والمعراج قد ألهبت أخيلة الشــعراء، مما يؤكد أن هذه المعجزة قد حفرت لها في ديوان الشـعر العربي مكانا كبيراً، وقصـيدة تؤرخ لها، وتشـير إليها بالتعامل الروحي، والاسـتلهام التراثي والتواصـل الرمزي، لتمتد هذه

القصـيدة عبر تاريخ الشـعر الطويل، حتى عصـرنا الحالي، بل عامنا الحالي، وما بعده إن شاء الله تعالى .

ومما يدخل في الجانب الديني، حديث الشـاعر الدكتور جابر البراجة، عن قدوم شـهر رمضـان فلم يكن شـهر رمضـان بكل ما يتضـمنه من معان دينية وروحية بالمناسـبة التي يغفلها الشـعراء والأدباء على مر العصـور، ولقد حفلت كتب الأدب ودواوين الشـعراء بذكر هذا الشـهر الكريم، ما بين ترحيب بقدومه، وتوديع له، وإظهار أهمية الصوم في حياة الناس، ولقد تفنن الشعراء في وصف الهلال والترحيب به وعدوه أمارة خير، وبشـار يمن وبركة، فعندما يهل هلال شـهر رمضـان الكريم، تشـرق الدنيا بهجة بقدومه، فتصـفو النفوس، وتنتشـي بالرحمة الربانية التي تعم الكون ويتحقق الرضا النفسي، لاستجابة القلوب لأمر ربها .

فالشاعر الدكتور جابر البراجة يرينا كيف ابتهج بقدوم الشهر الكريم قائلا في قصيدته التي جاءت تحت عنوان " في قدوم شهر الخير " رمضان" [1] :

بشـير الخير يـأتينـا فـيوقظنـا ويـهـدينـا

وينشـر بيننـا خيراً يـغـطـي كـل واديـنـا

نصـوم نـهـاره دومـا ونـحـيـي لـيـلـه دينـا

(١) السابق، ص ٢٣

ونجعل صـــومه رمزا لكـل فضـــيلـة فينـا

فـلا صـــوم يطـهرنـا إذا لـم يـهـد مـخطينـا

ولا عـمـل يـقـربـنـا إذا لـم يُـثْـر آتـيـنـا

أشـــهر الخير أدركنـا فقد ضـــاعت خطاوينا

فقد تفنن شاعرنا في وصف الهلال والترحيب به، وعَدَّه إمارة خير، وبشارة، ويمن وبركة، وفي الأبيات السابقة اتكأ شاعرنا على عاطفة البهجة بقدوم هذا الشهر الفضيل مستخدما عبارات " بشير الخير، يوقظنا، ينشر بيننا خيرا "، وهذا يدل على أن هذا الشهر الفضيل يتمتع بمنزلة عظيمة في نفوس المسلمين، فهم يستقبلون كضيف عزيز فرحبت به متهللين، ويودعونه عند رحيله متحسرين ملتاعين .

ليس هذا فحسب بل ألح شاعرنا على فكرة ارتباط العبادة بالتطبيق العملي لها حيث بين أن الصـــوم لا قيمة له إذا لم يرتبط ببعد صـــاحبه عن المأثم والشرور وقد أظهر ذلك من خلال قوله:[1]

فلا صـــوم يطهرنـا إذا لم يهـد خطينـا

ولا عـمـل يـقـربـنـا إذا لـم يُـثْـرأتـيـنـا

(١) السابق، ص٢٣

وهناك قصيدة أخرى جاءت تحت عنوان " في رحاب الشهر الكريم " تناول فيها الحديث عن سُبل الخير في شهر رمضان، من صيام،وصلاة، وذكر إلى غير ذلك من اشراقات الشهر الكريم،وهذا يدل على مدى الحب والتقدير الذي أولاه الأدباء والشعراء لهذا الشهر فها هو أمير الشعراء أحمد شوقي يصور لنا الصوم تصويراً أدبياً، فيقول في كتابه أسواق الذهب " الصوم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضةحكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب، وباطنه الرحمة يستبشر الشفقة ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر، حتى إذا جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع [1] .

وبناء على ما سبق فقد تنوعت الرؤية الدينية لدى الشاعر الدكتور جابر البراجة ما بين حديث عن المولد النبي، وحديث عن ليلة الاسراء والمعراج، وكذا حديثه عن شهر رمضان المبارك، كذلك هناك مناسبات دينية أخرى لم يتسع المقام لذكرها .

(١) اسواق الذهب، احمد شوقي، ص ٩٥، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة

المبحث الثاني
المحور الوطني

يعرف الوطن على أنه الأرض التي ولد فيها الإنسان ونشأ بها، وترعرع في أرجائها، فهو يمثل الذكريات التي لا يمكن نسيانها، حيث يحتضن الأحباب، وا لأصدقاء، والأهل، والآباء، والأجداد، فالبشر يألفون أرضهم على ما بها، ولو كانت قفرا مستوحشاً، وحب الوطن غريزة متأصله في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحن إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هو جم، ويغضب له إذا انتقص.

وبتأمل ديوان " بشائر النور " نجد أن الشاعر الدكتور البراجة قد أفاض في الحديث عن الجانب الوطني الذي تناول فيه الحديث عن الأحداث الوطنية المعاصرة، وبخاصة ثورة الخامس والعشرين من يناير وعن شهدائها الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الحرية، وعن شبابها الذين تحملوا أعباء هذه الثورة حتى أوصلوها إلى بر الأمان لتكون ثورة كل المصريين .

يقول في قصيدته التي بعنوان " شباب التحرير " [1]

شبابُ النيلِ في التَّحْرِيرْ يُنَادِي نَبْتَغِي التَّغْيِيرْ

ونرفضُ كلَّ طاغِيةٍ يُبيحَ الظَلم والتَّزْوِيرْ

(١) بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٦٠ – ٦١ .

لـنَـا فـي كُـل نـاحـيـةٍ شـــبـابُ يَعْشـــقُ التَّنْوِيرْ

ويـرْفَـعُ رايَـة كُـبْـرى تُظِّلـل ســـاحـة التَّعْمِيْر

هِوَ المصِـــــدَاقُ فيِ القولِ وَصْـــوتُ الحَقّ في التَّحْريرْ

تَـراهُـمْ رفْـقَـةً قَـامـوا لِنَشْـــرِ العَدْلِ فيِ الدَّسَـــاتيرْ

ودَفـعُ الـظـلـمِ عـن وطـنٍ أُصـــيِـبَ بلـعْنِـةِ التَّهْجِير

فَـيَـا لله مْـن حَـكْـمٍ أَســـاءِ الـفـهَـمَ والـتَّـدبـيـر

شـــبـابَ النيـلِ أَحبـابي مَـحَّـل الـحُـبِّ والـتَـقـديـرْ

فشـاعرنا يلقي الضـوء على هؤلاء المجموعة من الشـباب الذين رأوا أن التغيير يجب أن يكون هدفاً في ظل أوضـاع اقتصـادية، واجتماعية، وسـياسـية مترديـة فالظلم تفشـى، والعدل أصـبح أملاً بعيداً، ولم يتوقف الأمر على ذلك، بل وصـــف النظام الحاكم في هذه المرحلة بســـوء الفهم والتدبير وعدم الحنكة من خلال قوله:[1]

(١) الديوان، ص ٦١

فَيَـا لله مْن حكْمٍ أَســـــاءِ الفهَمَ والتَّدبير

فالقصيدة أشبه ما تكون – كما يقول د/ عبدالقادر زيدان بوثيقة إتهام أدبية لنظام مهترئ من أنظمة الحكم، يعانيه مواطن ....من حكام أقرب ما يكونون إلى شذاذ الآفاق، بعيدين كل البعد عما يأمل ويصبوا .[١]

ومما يتصل بالجانب الوطني هذه القصيدة التي جاءت تحت عنوان " رياح التغيير" والتي نظمها بعد أن شـــعر بأن هناك من يريدون أن يركبوا الثورة ويسلبها من الثوار، وهذا يدل على أن الشعر كان يسير في كل ثورات العالم خطوة بخطوة من نضال الشعوب والشعر إذا أردنا إنصافه لطالما دق نواقيس الخطر قبل أن يفترش المتظاهرون الطرقات والســـاحات وقد أعلنوها ثورة يقول د/ البراجة [٢] :

هبت رياح لم أجد مثلا لها صعدت بفضل الله صوب المنتهى

قد غيرت أحوال قومي بعدما سقط القناع وبان صدق أولي النهي

(١) قضـايا العصـر في أدب أبي العلاء المعري، د/ عبدالقادر زيدان، ص ٢٥٤، ٢٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٦٣ .

نشـــرت عبير الحب في أبنائها وروت بـذور الخير حتى تشـــتهي

وقف الجميع يراقبون مســـارها فرمـت بقطر المـاء بين ربوعهـا

جـاءت لتوقظ قومنـا من نومهم فاســـتيقظوا لكن بفضـــل حماتها

هي في الحقيقة من نتاج رجالها لـكـنـهـم لـم يـبـخـلـوا بـثـمـارهـا

يظهر من خلال النص أن الشـــاعر د/ جابر البارجة قد بين أن الثورة انتصرت بفضل الله فقد أمدها بمدد من عنده لتغير حياة الشعب المصري الذي يبحث عن الحرية والعدالة وســـقط القناع عن الوجه القبيح لنظام القهر والجبروت.

إن الواقع الذي فوجئ به الشـــاعر واقع مؤلم اصـــطدم فيه الثوار بالحاكم الطاغي وثاروا على أوضاعه الفاسدة المرفوضة، فهي تمثل مثالب العصر كله الذي اختلط بالمعايير الفاسدة، وبان صدق أولى النهي، ويصوغ الشاعر هذا التحول الزمنى بعد هبوب " رياح التغيير" التي تجعل الشعب كله متوحداً تحت شعار " الشعب يريد اسقاط النظام" .

وقد اتكأ الشاعر على إدخال الزمن اللغوي في نسيج التكوين الفني للنص فالشـــاعر يجعل نجاح الثورة، وإســـقاط النظام بؤرة اهتمامه وصـــورة لزمن أفل وانتهى، فالشـــاعر في صـــورة إدانته للنظام البائد، وما فيه من مفاســـد يأتي بالصيغة الزمنية للفعل الماضي الذي يجسد إحساسه بانتهاء ذلك الزمن المجسد

في هذا الرمز المحسوس ومادة الفعل وبنيته تؤازر الزمن .... وتعلن عن رحيل ذلك الماضي وافوله [١]

ولذلك سيطر الزمن الماضي على النص الذي جاء إحدى عشرة مرة فترى " هبت، صعدت، غيرت، سقط، بات، نشرت، روت، وقف، رمت، جاءت، استيقظوا " .

ومما يؤخذ على الشاعر د/ جابر البراجة أنه تناول الأحداث خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ – في رفق ولين،وتأتي الألفاظ هادئة حالمة لا تتناسب مع الأحداث الساخنة والملتهبة للثورة وما فيها من قبل السلطة، واستشهاد الثوار وإصابتهم فترى : " عبير، الحب، روت، الخير، رياض، أنهارها ".

ويتحدث الشاعر " د/ جابر البراجه " عن المفارقة التي أحدثها شهداء ثورة ٢٥يناير في الواقع المصري الذي يتغير من الذل و المهانة إلى العزة والكرامة بفضل الشهداء، فيقول من قصيدته "ولدي الشهيد"[٢]

بفضلك أنت يا ولدي رفعت الرأس للأبد

وقمت أخاطب الدنيا وأعلي راية البلد

---

(١) تاج المدائح النبوية شرح قصيدة البردة كعب بن زهير، د/ صابر عبدالدايم، ص ٥٨ بتصرف، دار هديل ١٩٩٤ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجه، ص ٦٦ .

وأذكـر يـوم ثـورتـكـم لـبـدء مـوالـد جـدد

لـقـد أثـريـت أيـامـي بمـا أحببت في جســـدي

فـديـت الأرض بـالنفس وصـــنعـت العرض للولـد

فلـم تـبـخـل بـأنـفـاس ولـم تـركـن إلـى ســـنـد

بـل اســـتبدلت بـالـدنيا جـنـات الله فـي الـخـلـد

في مفتتح النص يأتي الشـاعر بالإشـادة بفضـل " الشـهيد" في عودة العزة والكرامة فقد " رفع الرأس للأبد"، ويتحول شـــطري بداية النص إلى مقطع يمهد لصعود التجربة والدخول إلى عمقها بالخطاب، " وقمت أخاطب الدنيا"، ويسترد الشـــاعر أمجاد مصـــر ويُعلى راية البلد " وبذلك يرمز إلى عودة العزة والكرامة للمواطن المصـري " وهنا يسـتدعي النص كل محاولات الخلق، ومشـاهد الولادة فيه من حلم التغيير وطقوس الولادة .

إن هذه الانتقالية من الخاص إلى العام حيث يتوزع الكل في الأجزاء، تمنح النص شـعريته، وتفصـح عن الفرح المسـتحيل بل تؤكده وهذا تعبير عن موقف من الحياة حيث تصبح المحاولة واقعاً[1].

(١) الكشـف عن اسـرار القصـيدة، د/ حميد سـعيد، ص ٨٤، ٨٥، الهيئة المصـرية العامة للكتاب .

وبالدخول إلى عوالم النص نلاحظ أن الشـــاعر ينتابه حالة من الفرح ممزوجة بحالة من الحزن، فالقصـــيدة تتحدث عن الشـــهيد بنبرة يعلوها الفرح والســـرور منها (أثريت أيامي، أحييت في جســـدي، فديت بالنفس، صـــنت العرض)، وكأننا نرى موضـــوع الإنتصـــار للثورة قد طغى على تأثره بهؤلاء الشباب الذين ضحوا بالغالي والنفيس لأجل رفعة وطنهم .

يبدو لنا جليا بعد متابعتنا للخطاب الشـــعري لدى الشـــاعر د/ جابر البراجة أنه اختار النبرة الهامسة المدججة برمزية شفافة، وصورا مبنية بالأساس على خلق حالات من التناقض تبين الفرق بين واقع أليم (شعب مقهور، وشباب ضـحو بأرواحهم من أجل رفعة وطنهم) وبين أمل بحياة أفضـل، وهذا يوضـح كيف أن الشـاعر عرض حالة إنسـانية خاصـة لشـعب مقهور يبحث عن حق طبيعي يتجلى في مطلب عادل، وهو المساواة في حق الحياة، وفي طول العمر، شأنه شأن بقية البشرية على وجه الكون .

ومن قصـــائده التي تتجلى فيها النزعة الوطنية هذه القصـــيدة التي جاءت تحت عنوان "إستغاثة ونداء " والتي صور فيها فزع الشعب المصري في أعقاب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ بســـبب ما أحدثه الفراغ الأمني بعد انكســـار الشـــرطة واقتحام السـجون، من حوادث العنف وأعمال البلطجة و السـطو المسـلح، وهذا يكشف أن الشعر قد لعب دوراً بارزاً في تلك الأحداث ولم يكن زخرفة أو ديكوراً مصـاحباً للثورة الشـعبية، ولكنه يمثل الموسـيقى التصـويرية المصـاحبة لها، فهو بالأحرى يمثل جزء كبيراً من الحدث ذاته.

يقول :[1]

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقد شـــابت ليـالينـا

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقد تـاهـت خطـاوينـا

فـقـدنـا الـنـطـق مـن هـول وكـاد الرعـب يردينـا

ســـجنـا في مســـاكننـا وصـــار الســـجن نادينا

ألا يـا شـــرطـة الأمـل أعـيـدوا أمـن وادينـا

وعـودوا واحـرســـوا الـوطـن وســـيروا في حوارينـا

لـنـبـعـد زمـرة هـبـت لتنشـــر ذعرهـا فينـا

يتضح من خلال النص أن الشعر لعب دوراً تحفيزياً في أوقات الثورة، كما أن الشـــعراء يتمتعون بقدرات تمكنهم من مرافقة الحركات المدنية وتوعية الضمائر في خضم الأحداث الجسام التي شهدها الشعب المصري خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ .

وقد آلم الشاعر د/ جابر البراجة هذه الحالة من الفراغ الأمني وما فيها من ترويع المواطنين، وأدان هؤلاء البلطجية الذين تجردوا من كل القيم الإنســـانية بعد انكسار الشرطة وانسحابها، والشاعر هنا يجاهد كي يعلق لحظة شعر على جدار الزمن، والزمن يتقاطع في نقطة تراجع وتقدم، وفي هذا المفترق الحرج

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٨٠ .

يتوحد الشاعر مع [١] رجال الأمن ويستغيث بهم (ألا يا شرطة الأمل أعيدوا أمن وادينا) وتجربة الشـــاعر هنا قد ســـيطر عليها الانفعال والغضـــب وقد تغلفت الألفاظ بالرعب وســرى فيها الفزع مثل (أغيثونا، شــابت، تاهت، هول، الرعب، يردينا، سجينا، ذعرها)

فهذه الألفاظ تصـــور لنا مدى حالة التناقض التي كان يحياها الشـــعب المصــري خلال ثورة ٢٥ يناير، ما بين بحث عن الحرية والعدل والأمان، وبين أفراد يثيرون الزعر والرعب بالنهب والسلب والقتل .

وحين نتأمل النص من ناحية المطلع – أغيثونا – التي كررها الشـــاعر، وحين ننتقل بين عوالمه ندرك أن الشـاعر يمتلك شـجاعة الرأي، وصـدق الفنان حيث لم يســتطع أن يكتم انفعالاته، ولا يســيطر على عاطفته، بل انطلق في شاعرية ثائرة [٢] .

ويكشف اللحظات الحرجة في تاريخ مصر والتي وصفت بـــ (الرعب والهول والذعر) وما توحي هذه الألفاظ من الجو المفعم بالهلع والخوف والحيرة والفزع، كما تكشف عن معاناة الشعب من أعداء الثورة .

---

(١) أصالة النص، اعتدال عثمان، ص ٨١، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨ .

(٢) من القيم الإسلامية في الأدب العربي، د/ صابر عبدالدايم،ص ٤٦، دار الشروق، ط٣.

المبحث الثالث

محور المراثى

الرثاء أحد فنون الشعر العربي البارزة، بل إنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة، وحرارة التعبير، ودقة التصوير، ويحتفظ أدبنا العربي بتراث ضخم من الجاهلية إلى يومنا الحاضر .

كما أن الرثاء أكثر ضروب الشعر العربي عاطفة، لأن منبعه القلب، فكلما زادت الصلة بين الشاعر والشخص الميت زادت قوة القصائد الرثائية، وقوة وعمق المعاني، والعاطفة ة المتدفقة في أبيات القصيدة بشكل كبير، واشتهر الرثاء عند العرب بشكل كبير لما يحمله من تخليد للميت، وإبقاء ذكره على ألسن الناس كلما ذكروا ما كتب فيه من قصائد ورثاء[١]

وقد آلم الشاعر د/ جابر البراجة هؤلاء الشباب الذين فقدوا أرواحهم من أجل رفعة وطنهم وإعلان شأنه، فنظم مجموعة من القصائد التي جمعت في طياتها عواطف الحزن، والشفقة، والحنو، والإحساس بالفقر والحرمان، وهذا يدل على أن شاعرنا كان يحيا حياة فنية صحيحة، حياة ملؤها الإحساس الحاد بنفسه واختلاجاته الباطنة وبما ينبض به المجتمع والكون من حوله[٢]

---

(١) الرثاء عند شعراء الحلة، أ.د/ أسعد محمد علي النجار، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العدد ٢، المجلد ٢، ص ٢ بتصرف.

(٢) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د/ شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ص ١٤٢ .

فمن قصائده التي يظهر فيها غرض الرثاء بشكل واضح قصيدته التي جاءت بعنوان " ولدي الشهيد" والتي يقول فيها [١]

بفضلك أنت يا ولدي رفعت الرأس للأبد

وقمت أخاطب الدنيا وأعلي راية البلد

وأذكر يوم ثورتكم لبدء موالد جدد

فديت الأرض بالنفس وصنت العرض للولد

فلم تبخل بأنفاس ولم تركن إلى سند

بل استبدلت بالدنيا جنات الله في الخلد

لنبعد زمرة هبت لتنشر ذعرها فينا

أقمت العدل في قوم أضاعوا العمر في اللدد

هو من عرين آساد لتسقط دولة الأبد

وتحيى بلدة عطشى بماء الحب والورد

فأنت شهيد أمتنا وأنت الرمز للأمد

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجه، ص ٦٦ .

يظهر من خلال النص أن الشـاعر يتفجع على الشـهيد الذي وارى الثرى وانتقل إلى الآخرة حيث مقامه الطويل الأبدي يعاني الغربة، وقد انعكس حزن الشـاعر على النص الذي سـيطرت عليه حروف المد والإطالة لتوحي بالألم الدفين والحزن الشديد والإنتكاسة الكبيرة، ومعاناة الشاعر الشديدة فترى (فديت – استبدلت – هدمت – تسقط)، هذه الألفاظ التي تحمل فى طياتها معان الفقد والاحسـاس بالألم ولكنها في الوقت ذاته يشـيع فيها الفخر والاعتداد بالذات فالشهيد وإن واراه الثرى إلا أن بطولته تتجسد أمام الشاعر رأى العين،من إقامة العدل، وهدم أوكار الغزاة، وصيانة العرض وبذل النفس والنفس من أجل حماية الوطن .

هذا وبتأمل النص نجد أن حروف الهمس سـيطرت عليه بشـكل لافت سيطرة توحي بأن الإحساس بالفقد والحرمان تملكت قلب الشاعر وأحاسيسه فنجد (الرأس – أنفاس – استبدلت – بالنفس – سند – آساد) كلها ألفاظ سيطر عليها حرف السـين الذي يدل على معنى اللوعة والحرقة والاحسـاس بالألم الشديد .

كذلك سـيطرة أسـلوب الخطاب على النص من ناحية اسـتخدام أسـلوب الشاعر لضمائر المخاطب (أنت – رفعت – أقمت – فديت – صنت – تبخل – أقمت – هدمت – تحيى) توحي بأن الشـهيد يتمثل أمام الشـاعر تمثلاً امتلك عليه جوارحه وأحاسيسه فأشعرنا بأن الشهيد مازال حيا تشهد له أمجاده وأفعاله الحسنة في كل مكان، ولا يخفى أن هذه الإنتقالية تمح النص شعريته، وتفصح عن الفرح المستحيل بل تؤكده، وهذا تعبير عن موقف من الحياة حيث تصبح المحاولة واقعاً [1].

(١) الكشف عن اسرار القصيدة، حميد سعيد، ص ٨٤ – ٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦ م .

ومن مرثياته التي تفيض ألماً وحزناً هذه القصـــيدة التي نظمها رثاء لابن عمه الاستاذ / صلاح البراجة الذي كان من أعز الاصدقاء له يقول : [1]

سـل الأيام كم مرت لياليها وكم جُبْنا دروباً في نواحيها

سـل الأصـحاب كم كنا نبالدهم صريح القول في شتى مناحيها

وكم كنا نبين لهم محاورها وكم كنا نناقش رأيهم فيها

ولكني أراني اليوم منفرداً بلا خل يسامرني لياليها

ففقدك يا صلاح الخير آلمني فصرت أخاطب الدنيا وما فيها

وصرت أخاطب الأزمات عن يوم أتى من غير أن تبدو باديها

مجالسنا بدت تعلوها أحزان لأن غيابكم أدمى أمانيها

فأنت الفارس المغوار في دار خلت من كل من يعلي مبانيها

وأنت سلافة الأرواح في دنيا فكيف أعيش حاضرها وآتيها

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٥٩ .

النص يتناول مشاعر الحنين والفراق والتفجع والألم بسبب فقد صديقه ورفيق دربه الذي وافته المنية، ففي البداية استهل أبياته بأسلوب الأمر " سل " الذي يوحي بإحساسه بالفقد ومرارة الحرمان، وكأنه يسترجع أحاديثه ولقاءاته مع صاحبه، متمثلا هذه الأحداث أمامه، ولا يخفى أن استخدام الشاعر لحروف المد والإطاله توحي بالألم والحسرة فنرى (لياليها – دوروباً – نواحيها، م حاورها، بواديها، تعلوها، غيابكم، امانيها)

وفي تصوير الشاعر لرحيل رفيق دربه يحاصر الحدث بالزمن الماضي (مرت، جُبنا، كُنا) فقد أصبح أثرا بعد عين، وذكرى مؤلمة بعد ما كان تجمعهم الأيام، والأحداث، والمواقف، وهذه الحالة أحسها الشاعر بل عاشها معيشة عميقة حتى استبانت له بجميع دقائقها وتفاريعها[١]

وقد كرر الشاعر لفظ (كم) خمس مرات ليكثف الصورة ويركن على إبراز الإرتباط والأصرة القوية بينه وبين ابن عمه الذي كان أنيساً لوحشته، حين كانت أحاديث الأصحاب وتبادل الآراء، وتذكر الأيام الخالية، كذلك كرر الشاعر لفظة (أنت الفارس، وأنت سلافة الأرواح) ليعبر عن مدى قوة صاحبة، هذه القوة التي لم تكن قوة حسية فحسب بل تخطت ذلك إلى قوة معنوية (سلافة الأرواح) حيث سداد الرأي، وحصافة العقل، ولذا وصفه بالضياء، ومنارة للهدى قائلاً : [٢] .

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص١٤٥، دار المعارف، ط ٩ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراحة، ص ١٦٠ .

صــلاح النور يا بن العم كنت لنا ضــياء ظل للأنظار يهديها

ويهــدي جيــل أبنــاءٍ إلى خير ليرفع هامة قد كنت تعليها

إن النص في عمومه لُحمة متماسـكة تحمل معانٍ وأحاسـيس وإشـعاعات نفسـية وعقلية تضـيء على أجزاء القصـيدة من بدايتها إلى نهايتها، وقد تألفت أجزاؤها وأبياتها فلا تنابذ ولا نُبو بين معنى ومعنى ولا بين شعور وشعور[١] .

ومما لا شك فيه أن موت العلماء من المصائب العظيمة الأثر، ولذا كثرت القصـــائد التي نظمت في رثاء العلماء والأدباء لما لهم من مكانة عظيمة في النفس، وقد رفع الله ســـبحانه وتعالى من قدر ومكانة العلماء والأدباء في الآية الكريمة في قوله تعالى " يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[٢].

وها هو الشاعر د/ جابر البراجة ينظم قصيدة رثاء لمعلم الأبناء قائلا [٣]:

حاولت يوما ذكر كل فضـــيلة فوجـدت أن عطـاءكم أغنـاني

فرفعـت وجهي للإلـه منـاجيـا وســـألتـه لـك جنـة العـدنـان

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١٤٤ بتصرف .

(٢) سورة المجادلة آية ١١

(٣) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٦٣ .

أمعلم الأبناء عشـــت مصـــابراً والـيـوم تـلـقـى الله ذا الـغـفـران

فـاهنـأ بحـب الله إذ أرضـــيتـه واســـعد بحب الســـادة الأقران

أمحمد قد عشـــت دوما حامدا فكفـاك مـا قـدمـت للأوطـان

قد كنت فينا صـــاحبا ومعلما فـأبنـت فضـــل العلم للولـدان

ونشـــرت حبا عم كل جموعنا فتركـت ذكرى في ذرا الوجـدان

وتركت إرثا ســـوف يذكر بيننا ورفعـت قـدر الخـل و الخلان

فاذهب قرير العين يا خل الوفا فمقام مثلك ســـاحة الرضـــوان

فالقصـيدة ذات بداية هادئة – إلى حد ما – ثم لجأ الشـاعر بعد ذلك إلى حشد الألفاظ المبكية، والكلمات المثيرة، غير أنها تجنح بعد ذلك إلى تعداد مآثر معلم الأبناء، ثم تختم بفكرة المصير وهي حتمية الموت، وأنه لا غالب له .

ففي المفتتح اسـتهل الشـاعر قصـيدته بالثناء على الممدوح، حيث بين أن عطاءه أغناه عن تعداد كل فضيلة، ولذلك توجه إلى السماء سائلاً جنة العدنان.

ولا يخفى أن اســـتخدام الهمزة – التي تأتي لنداء القريب كما في قوله " أمعلم"، أمحمد – تدل على مدى الأصـرة القوية بين الشـاعر وبين معلم الأبناء كما تدل على قربه من قلبه وإحســاســه الشــديد بمرارة الفراق والبعد، فالأبيات

تعكس مأساة الشاعر وفجيعته في معلم أبناءه الذي يبكيه كلما أبصر مكانه خاليا منه، فإذا ما حاول أن يسلوه زاد في جزعه، وألهب مشاعره مآثره التي تتمثل في علمه الذي نشره بين الولدان، وحب الآخرين له، وهذا ما يوحي بحجم المصيبة، ويكشف عن تعاطفه مع المعلم، لا سيما وهو يسبغ عليه الكثير من الصفات والخصال الحسنة،من محبة الله له،ونشره للعلم في الأفاق .

هذا ولم يتوقف محور الرثاء عند الشاعر د/ جابر البراجة عند رثاء الشهيد والصديق والمعلم، بل كان إلى جانب هذه القصائد مر ثية رائعة اختصها بالحديث عن أمه فمن خلالها يظهر أن شعراء الشعر الحديث خاضوا تجربة شعرية ناجحة في موضوع الأم، فهم استثمروا الطاقات الشعورية والنفسية والفكرية واللغوية، فتحققت لهم التجربة الشعرية والإنسانية، فجاءت الصورة الشعرية للأم مختلفة وبأنماط متباينة في الشكل والمضمون يقول الشاعر د/ جابر البراجة في رثاءه للأم [1] :

عشت الحياة أظن أنها قصة تحكى فيسعد باسمها الإنسان

فلقد ولدت وما سمعت عن البكا حتى أثارت دمعي الأحزان

فالقلب يخبو اليوم نور حياته وتغيب شمس الحب والأعوان

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٥٤

أمي ومن لي في الحياة مثيلها لولاها ما علا هكذا البنيان

زادت هموم القلب بعد فراقها وسرى حديث كله أشجان

قد كنت لي أملا أعيش لأجله واليوم صرت يعوزني التحنان

ما ضر قلبي فقد أمَتى وحده لكنه قد ضره الإذعان

لو كنت أعلم أنني في رحلتي سيغيب عني الحب والإحسان

ما كنت يوما قد قبلت فراقها لكنه قد قدر الرحمن

يا رب نور في القبور مقامها وامنحني صبراً يكسه الإيمان

فهو يصور مدى تعلقه بنبع الحنان، وحزنه الشديد على فراقها بهذه الأبيات التي تجمع بين الحب وبيان منزلتها في نفسه، فقد عاش هنيئاً بحياته، فرحاً بأمه التي كانت رمزاً للحب والحرص على أولادها، والتي بموتها فقد القلب نوره، وغابت شمس الحب و الأعوان، ولذا اندفعت على لسانه مشاعر الحنين و الشوق، فرثاها رثاء حاراً أبرز فيه موقفه من الحدث الجلل، فجاءت مشاعره فياضه تجاه من ربته ورعته، وكشف عن حبه وتقديره ومدى خسارته برحيلها.

ففي المفتتح عبر الشاعر عن مكنوناته الداخلية تجاه من قامت على رعايته، فجعلها كالقصة الهادفة التي يتداولها الأخرون من فرط جمالها ومغزاها،

وظن أن البكاء – بسبب تعلقه الشديد بأمه – لن يأتى إليه أبداإلى أن غابت فأحس بفقدانها بتبدل الحال وتغير مسيرة الحياة لديه، إذ ليس في الكون من يضاهيها في فضائلها وتحنانها، ولذا تراكمت الهموم عليه وفارقته الابتسامة وفي النهاية وقف الشاعر مواسياً نفسه بأن هذا قدر الرحمن الذي لا مفر منه، داعياً لها بغفران الخطايا .

إن عاطفة الشاعر في هذه القصيدة تتسم بصدق المشاعر وحرارة الفؤاد، واللوعة المتقدة المفعمة بالحزن على هذه الأم التي كانت له مصدر النور والإشعار وسر الوجود في هذه الحياة، فهي واهبة الحياة له بعد الله ولذا سيطرت على ابيات القصيدة رنة الأنين ومسجة الكآبه، وغلب عليها الصدق، حيث أصبحت حياة الشاعر بعد فقده لأمه خريفا لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس .

وبتأمل النص نجد بعض المترادفات مثل " يخبو،تغيب" التي جاءت لتعبر عن الحرقة واللوعة التي أصابة الشاعر نتيجة فقدانه لوالدته، ولذا جاءت التجربة الشعرية معبرة عن أحاسيس الشاعر ومكنوناته الداخلية أتم تعبير إذ لم تكن تجربة سطحية بل كانت تجربة عميقة فهي تعبر عن حدث اعتصر فيه قلب الشاعر وعواطفه " فألفاظه وأبياته لا تهيم في فراغ أو طيب أو خداع، وإنما تتضامن لتعبر عن حالة وجدانيه استقصاها الشاعر أو استقصى معانيها ورتب بعضها على بعض ترتيبا لا سبيل إلى التبديل فيه أو التغيير إلا أن ينقض كيانها نقضا .

المبحث الرابع

شعر القومية العربية

يعد الشعر القومي من الأهمية بمكان لأنه يمثل الشعور أو الرابطة التي تربط الفرد بقومه وتجعله يسعى في سبيل سعادتهم لأنه يجد في سبيل سعادتهم معاده، وليس هناك اختلاف كبير بين القومية والوطنية، إذ أن حب الوطن لا ينفصل عن حب الأمة، والوطنية والقومية يعدا من أهم النزاعات الاجتماعية التي تربط الفرد بالأمة وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل على إسعادها [١].

والشاعر بفطرته مرهف الحس،جياش العاطفة، يتميز مرصده بحاسة سادسة ترى مالا يراه الأخرون، قلبه الأخضر لا يجف أبداً، له ذبذبات عالية الاحساس، دافقة الشعور، والش اعر / جابر البراجه سطر بقلبه قبل قلمه الكثير والكثير من قصائد الشجن حول هموم أمته العربية والإسلامية، ففي قضية المسجد الأقصى السليب مسرى النبي محمد (ﷺ)، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين، ودعما لانتفاضة الشعب الفلسطيني الباسل و التي يجاهد فيها بالصدر والحجر ضد ترسانة ا لأسلحة الإسرائيلية الغادرة الماكرة، يقول في قصيدة بعنوان " القدس الشريف" [٢] :

---

(١) آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ساطع الحصري، ص ٣، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة،ص ٣٩ .

كل الجرائم ترتكب في القدس جهراً يا عرب

فتدنست أركانه من هول ما صنع الجرب

ولساننا متوقف عن كل قول في الكرب

فهل العروبة عندنا صارت شعارا للطرب

أين الألي جابو البلاد من كل صوب أوحدب

يحكوا لنا أمجادهم فتراهموا فعلوا العجب

في المسجد الأقصى الذي مسرى النبي المنتخب

يعثوا اليهود وما رعى للدين حكم أو أدب

يظهر من خلال النص أن التناول الشعري لمدينة القدس تنوع بتنوع الدوافع، وتظهر هذه الدوافع في الأسلوب والنهج واللغة التي تعبر عن القدس وقضيتها، ولم يغفل الشاعر د/ جابر البراجة الإشارة إلى قداسة فلسطين الدينية في شعره فلها مكانه دينية ميزتها عن باقي بقاع الأرض، حيث كانت مهد الرسالات والأديان، وهذه المكانة ليست مكانة افتراضية مبالغاً فيها، أو أن العاطفة قد دفعته لاختلا قها ، بل هي حقيقة معروفة في كل الديانات، فهي

أولى القبلتين وثالث الحرمين ا لشـريفين، ولم يكن يبغى من ذكرها في قصـائد المفاخرة، بل ذكرها لتبقى مكانتها في قلوب العرب جيلاً بعد جيل .

ونظراً لهذه المكانة العظيمة التي حظيت بها فلسـطين، فقد آلم الشـاعر ما حل بها من نكبات، فثار واسـتنهض العرب لنجدة القدس والدفاع عنه، فالجرائم ترتكب على مرأى من الناس دون أن يحرك أحد ساكناً، وتدنست أركان المسجد الاقصـــى من كل جانب، وتخاذلت الألســـنة عن نصـــرته والحفاظ عليه ولم يضـعف الشـاعر خذلان الحكام العرب للقضـية الفلسـطينية فأنشـد يسـتنهض الفلسطينين والعرب مرارا للجهاد والكفاح ضد المحتل، فقال شاحذاً هممهم :[١]

أين الألي جـابو البلاد من كـل صـــوب أوحـدب

يـحكـوا لنـا أمجـادهم فتراهموا فعلوا العجـب

ولأن المسـجد الأقصـى له قدسـيته في القلوب، فقد عرض الشـاعر صـوراً تكشـف عن عجز الواقع العربي الراهن، وتقصـيره تجاه القدس ا لذى يئن تحت وطأة الاحتلال، ويمكننا القول أن ما فاضـت به قرائح الشـعراء ليس في جوهره إلا روح الأمة وسفر نضالها يقول : [٢]

في المســـجد الاقصـــى الذي مســـرى النبي المنتخـب

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر الدراجة، ص ٣٩ .

(٢) السابق، ص٣٩ – ٤٠ .

يعثوا اليهود وما رُعِي للدين حكم أو أدب

رأيت قوما مثلهم خانوا العهود بلا سبب

وسيوفنا في غمدها باتت مثاراً للعجب

إني أرى أم القرى تهفوا إلى زمن ذهب

لكننا أبداً لنا أمل يعيد المُسْتَلب

فقد صور الشاعر د/ جابر البراجه، مدى الذل والهوان اللذان يخيمان على القدس ومقدساتها، والكون لا يسمع، ولا يرى، ولا يتكلم فيرسل صرخة إلى كل من يهمه أمر القدس ومقدساتها من الغيارى على الدين والحرمات، ولكن الأمل مازال يحدوه حيث تمنى أن تتوحد صفوف العرب وأن تتحد كلمتهم حتى يستعيدوا مجدهم الغابر وهذا لن يتأتى إلا بالعزم والمثابرة، والكفاح وعزم الحديد، لا باستجداء السلام أو سكب الدموع والانتحاب، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

يقول [1]:

يا رب طهر قلبنا من كل حقد أو غضب

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٤٠-٤١ .

حتى توحـد صـــفنـا ويعود حق مغتصـــب

يـا قـدس أنـت الملتقى طـال الزمـان أو اقترب

ســـنلبي دائمـا النـدا ونـكـون رهنـا لـلـطـلـب

فـالعزم قوة جنـدنـا والحق يعلوه الغضـــب

من أجـل ذلـك عنـدنـا أمـل في عود المســـتلـب

لقد حمل الشـــاعر قضـــية القدس في قلبه ووجدانه، وتباهى بمقدســـاته ومكانته، وعايش آماله وآلامه، وعبر عن معاناة أهله، وهذا يدل على مدى عمق " هذا الإحســـاس الحاد الذي يجعل الشـــاعر يحس في أعماقه آلام أمته وأوجاعه تلقاء المستعمر الظالم، فينفض، ويزأر في وجه العاصي زئير العاصفة " (١) .

ولا يخفى أن حادثة استشـهاد الطفل محمد درة قد أثارت حفيظة الشـعراء، فنظموا فيها قصـائد عدة مما يدل على أن شـعراء العصـر الحديث تفاعلوا مع الأحداث والخطوب التي ألمت بـالأمـة العربيـة، وأن الفتى الـدرة قـد غـدا رمزاً للإنتفاضـة الفلسـطينية حيث كان مشـهد اسـتشـهاده، و قسـوة العدو في اغتيال

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د/ شوقي ضيف، ص ١٥١ .

طفولته، يشكل إدانة لصور التخاذل والعجز العربي مما دفع الشاعر د/ جابر البراجة أن يقول (١):

بـقـلـبـي أنـت يـادرة يـانـور الـعـيـن والـقـرَّه

خـطـفـت بـنـارهـم غـدرا فصـــرت لشـــعبنا غرة

أبوك يشـــيرُ من خوف ليفـدي نفســـك الُحَّره

يـظـن بـأنـهـم رُحَـمَـا وينســـى أنـهـم فـجـرهْ

حـنـين الـقـلـب يـدفـعـه ليمنع ضـــربـة ضـــرَّه

فـكـيـف وذاك فـي عـلـم لـرب الـنـاس والـقـدَرهْ

فالشـاعر يعلو أبياته الحزن الشـديد، على هذا الطفل الذي مات غدراً وهو لا يتجاوز الأحد عشـر عاماً، بأيدي الغدر فكانت الأبيات بمثابة الصـرخة التي تفطر مرارة، وتضـج بالسـخرية من حالة التردي والتخاذل العربي، الذي يجعل الدم الفلسطيني عارياً وحيداً بلا دعم في هذه الحرب الظالمة .

ففي المفتتح استهل شاعرنا قصيدته بقوله " بقلبي" واصفاً مدى الحرقة التي ثارت بين جوانحه نتيجة الإحسـاس بفقد هذا الطفل الصـغير، ثم جاء تكرار أداة

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٥١ .

النداء " يا " في قوله " يا درة " و"يا نور العين " لتوحي بالإحساس والألم لدى الشاعر وكأنه الوالد الذي يبكي لفقد ولده، الذي خطف غدراً، وأجمل ما في هذه الأبيات عنايتها الفائقة بتصوير استشهاد الدرة، ورسم المشهد، لا سيما وأن وسائل الاعلام : المرئية والمسموعة، و المقروءة قد نهضت بدور مهم في ملامسة تلك المواطن العميقة الدافئة فينا، وهي تعرض صور استشهاده لحظة بلحظة وكيف لوح الأب بيده العزلاء المرتعشة، ولكن عبثاً حاول، فقد استحكمت حلقات الموت، إنها لحظة خاصة بكل تفاصيلها ودقائقها، وحالة شعرية نادرة، منحت الشاعر أفاقا رحبة من تجليات الإبداع .

ونظراً لفداحة الخطب لدى قلب الأب، فقد حاول الشاعر تسرية قلب الأب مضيفاً العديد من التشبيهات التي تزيد من جمال الصورة الشعرية، فشبهه مرة بالدرة، ومرة بالنور، وبناء الصورة الشعرية على التشبيه فيه ارتباط بانفعالات الشاعر وحالته النفسية " فالصورة التشبيهية تعامل مع الواقع المحسوس بأبعاده، ومع الجوانب الفكرية ومع أعماق الاحساس النفسي الداخلي[١].

ويبدو أن الشاعر قد مزج بين الصفات الحسية والصفات المعنوية، فتاره يصف الدرة بأنه جوهراً، وتارة يصفه بأن شهادته ستظل محفورة في قلب الزمان يقول [٢] :

---

(١) جماليات الاسلوب، الصورة الفنية في االأدب العربي، فايز الداية ص ٧٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٦.

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٥٢

ألم تعلم أبا الطفل بأن وليدكم دره

سيبقى جَوْهراً أبداً يزين الوجه والغره

ويبقى اسمه شرفاً وفخر الأمة الحُرَّه

ويحشر في بني عدن مع الأطهار والبربره

دماؤكم بني الدره بذمة سادة أثره

فقد وقفوا وما نطقوا وظنوا صمتهم فكره

فأورثواأ نفسهم ذنبا أضاع الحج والعمره

فياالله من قوم أضاعوا الدنيا والأخره

فلا وصولا لمغنمهم ولا بقيت لهم إمْرَه

صلاح الدين يرثيهم وصوت الناي في حسره

ينادي أين حادينا لنرفع صوتنا جهره

ويبقى خلفه نشدو بنصر يكسب الفخره

ونحيا أمة كبرى تشيع الحب لا الذره

ويبقي ديننا مثلا لكل إرادة حُرَّهْ

وتمحو قولهم فينا بأنا أمة شررَهْ

إن النص يحمل دلالات نفسية يملؤها رنة حزينة قوية تسيطر على كثير من تعبيرات الشاعر لتكشف عن ولهة وكمده مثل : وليد كم دره، يحشر في بني عدن، اضاعوا الدنيا والآخرة، صوت النادي في حسرة، " صلاح الدين يرثيهم " إلى غير ذلك من التعبيرات التي تدل على التوجع والحسرة، وهو بهذا يوظف أساليبه، فيستخدم من الألفاظ والعبارات ما يكشف عن موجدته وهموم نفسه، وربما كان لجؤوه إلى التكرار في قوله " أضاع الحج والعمرة، أضاعوا الدنيا والأخرة، ويبقى خلفه، ويبقى ديننا " تأكيدا لذلك .

على أن هذه العواطف والانفعالات التي سيطرت على الشاعر، وقد بلغت من الشرة ما يجعلها تؤثر في النفس، تلتقى مع الرثاء الإنساني العام الذي يظهر الشعراء فيه روعة الخطب ومقدار الأسى الذي تثيره حادثة الموت في نفوسهم .

هذا وتعد قضية احتلال الامريكان وطغاتهم للعراق من القضايا القومية التي آلمت شاعرنا وآثارت فيه الشجون والاحزان لأن الشاعر حمل الهم القومي في ضميره وعايشه من خلال انصهاره في بوتقة المجتمع الأبي الرافض للظلم والطغيان .

يقول في قصيدته التي جاءت تحت عنوان " مناجاة عراقي " [1]

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجه، ص ٤٧ .

يـا كعبـة البيـت الحرام أنـا قـد ظلمـت من الأنـام

فـالمسـلمـون تـفـرقـوا والغرب يشـدوا بـالوئـام

أيـلـيـق بـالـقـوم الألـي ورثوا الفصـاحـة والكلام

أن يسـتبيحوا بيتنـا ويجيئوا بـالقوم اللئـام

يا كعبة البيت الحرام

أين الحسـين بن العلي أيـن الـزبـيـر بـن الـعـوام

أين المغير على الـدوام ابن الوليـد أبو حسـام

ليعيـدوا بيتـا ضـائعـاً فـقـد الـكـرامـة والـكـرام

فالنص في طياته يحمل ذات مشـحونة بقوة عالية من التحريض والتنكيل بتعرية واقع الطغاة الموحش، وهذه مهمة الشـاعر في تغيير واقعة الاليم ناهضـا لإخراج الأمة من الفوضـى والانهيار والتسيب و التشتت والقهر والحرمان . ففي المفتتح نجد أن الشـاعر اسـتهل بقوله " يا كعبة البيت الحرام " للدلالة على المكانة العالية التي احتلتها العراق والتي كانت بمنزلة الكعبة المشـرفة،وقد لام المسلمين بسبب تفرقهم وتشرذمهم في الوقت الذي ينعم فيه الغرب بالوئام ورأى أن قوتهم كانت نابعة من اتحادتهم، وفي لجة تهكمية ونبرة عالية شـن غضـبه

على أولئك الذين يبيعون وطنهم بثمن بخس مقابل دولارات قليله، ولا ريب أن التكرار في قوله " يا كعبة البيت الحرام " جاء ليعبر عن هذه النفس المكلومة الملتاعة جراء الدمار و الضياع الذي حل بأرض العراق، وهذا يكشف عن ذات الشاعر التي تكشف عن خباياها من الخوف والقلق والضياع والصراعات الكثيرة التي تجتاحها من جراء القهر والدمار وكل أدوات الموت التي يصنعها الأخرون من أجل إهدار الكرامة العربية ومن أجل القضاء على كل هوية عربية .

ويبدو أن شاعرنا كان ينعم بنزعة دينية متوقدة حين تحدث عن الصحابة والتابعين مثل ، الحسين بن علي، والزبير بن العوام، المغيرة بن الوليد، مستحضراً أمجادهم في الحروب والمعارك الضارية، أملاً في أن يجد من يحذو حذوهم كي يعيدوا الأمجاد الضائعة التي تلقفتها أيدي الأمريكان.

ولما تقاعس العرب عن حماية أمجادهم، أخذ الشاعر يزجر الأمة، لتنهض من غفلتها وسباتها، وتعود إلى مكانتها السامية فوق الأمم، فقد بلغ السيل الزبى – هو مثل عربي يقال عند وصول الأمر لدرجة لا يمكن السكوت عنها – فيقول متسائلا عن سبب هذا الوضع السيء الذي آلت إليه العراق جراء هذا الاحتلال [1]

ما الدين أن يطغى هنا قوم تذرعوا بالكلام

فأثاروا ذعراً بيننا أدنى القطيعة والخصام

(١) السابق، ص ٤٨

يا كعبة البيت الحرام
هذي عريضـــة شـــكوتي س طرتهـا وســـط الظلام

من ذا الــذي يرنوا لـهــا من ذا يعيرني الاهتمــام

يــا كعبــة البيــت الحرام أنا قد ســـئمت من الكلام

أنا قد سئمت من الكلام

استدعى الشاعر أسلوب الإستفهام في صورته الشعرية التي يريد إيصالها إلى ذهن القارئ لما يحمله هذا الأســـلوب من معاني انفعالية توحي بالحســـرة والألم على هذا المجد الضائع، حيث استخدم أساليب استفهامية عديدة مثل (ماا لدين، من ذا الذي يرنو لها، من ذا يعيرني الاهتمام)، " وظاهرة تكرار الاستفاهم تعطي للقصيدة مجرىً متحركاً وصياغة متوثبة" [1].

أضف إلى ذلك أن ثمة حالة من اليأس والعجز أحاطت بالشاعر وقد ظهر ذلك من خلال قوله " أنا قد سئمت من الكلام، أنا قد سئمت من الكلام ".

يظهر مما ســبق أن شــعر القومية العربية يتبوأ مكانة متقدمة في المجتمع العربي ســـواء في لغتـه العربيـة وأفكاره وموضـــوعاتـه التي تعبر عن هموم المجتمعات العربية وقضـــاياها القومية والســـياســـية والاجتماعية، أو في دعوة

(١) إنتاج الدلالة الأدبية، د/ صـلاح فضـل، ص٢٨٧، مؤسـسـة مختار للنشـر و التوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧ .

الشعراء إلى حياة أفضل يسودها الحرية والعدالة والسلام، فـ " الأديب الذي تهفو له قلوب الأمة هو الذي يعيش حياتها، فيشـقى حين يشـع فيها الشـقاء ويبتهج حين يشع فيها الرخاء، ويحيا مع أبنائها ويشاركهم حياتهم بدرها وصفوها، ويتخذ منها مادة لأدبه، أما إذا انفصل عنهم واعتزل حياتهم وما يعيشون فيه من آمال وآلام ومواقف اجتماعية مختلفة فإنه يصبح بينه وبينهم حجاب صفيق "[1]

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١٩٩ .

المبحث الخامس
المحور الاجتماعي

مما لا شك فيه أن الشعر صوت القلب، ولسان العاطفة وترجمان خلجات الوجدان، والشار كالطائر الذي يحلق في كل جو ورسام حاذق تعبرِّ ريشته من خلال أحاسيسه عما يجول في صدره والذي لا شك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه وإنما يكتبه لمجتمعه، لسبب بسيط وهو أنه اجتماعي بطبعه، ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعياً في أدبه مطالبة طبيعية(١).

وبتأمل ديوان " بشائر النور " للشاعر د/ جابر البراجة نجد أنه لمس بقلمه العديد من الظواهر – وإن شئنا قلنا المناسبات – الإجتماعية، وقد تعدد شعره الإجتماعي ما بين حديث عن مكانة العلماء، والأزهر الشريف، واللغة العربية، وبين حديث عن مناسبات خاصة به كبعض القصائد التي نظمها بمناسبة ميلاد أولاده، وأحفاده، وبعض القصائد التي دارت حول تهنئته بتقلده لبعض المناصب، وكذلك هناك عدة قصائد دارات حول حديثة عن شبابه إلى غير ذلك من جوانب الشعر الاجتماعي .

ولا ريب أن للأزهر مكانته في نفوس المصريين بخاصة، والمسلمين بعامة، وكان يمثل لهم الملاذ الذي يلوذون به إذا وقع عليهم ظلم أو ضيم، وكان لعلمائه مكانة مرموقة في نفوسهم، فأخذ الشعراء ينظمون قصائد جمة في

---

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف ص ١٩١ .

الحديث عن الأزهر وعلمائه، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر د/ جابر البراجة الذي نظم قصيدة بعنوان " الأزهر الشريف " تحدث فيها عن دور الأزهر في التفاعل مع المجتمع، وصور ما يدور فيه من أحداث بعين الفنان المبدع، يقول(١):

شـــاء الالـه بـأن تكون منـارة للـعلم يهـدي نـورك الأقوامـا

فبناة مجدك في الزمان مشـــاعل حملوا اللواء وحققوا الأحلامـا

يـأزهر الإيمـان عشـــت مبـاركـا ترعى العلوم وتنبـت الأعلامـا

وتبين أن الـدين ليس شـــعـائراً تتلـى وليس بـراعــة وكـلامـا

لكنــه عمــل يطــابق قولنــا وســـماحة نمحو بها الأوهانا

أجهضـــت أفكار الذين تعســفوا بالحســـن لما زد تهم إقحاما

وشـــرحت قول الحق في عليائه ووصـــلت بين علومنا أرحاما

فالأزهر له دوره الرائد في بناء الفكر الإســلامي الصــحيح، ولذا وصــفه الشــاعر بأنه " منارة للعلم"، وجعل علماءه كالمشــاعل التي تضــئ الطريق في الظلام الحالك، ليس هذا فحســب، بل جعل الأزهر مكانا رحِيباً لينشــر الفكر

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٤٢ .

الوسطي الذي يتطابق فيه القول مع العمل، والقضاء على المحاولات الهدامة التي تحاول أن تنال من الأزهر ورجاله .

ولما كان للشعر تأثيره البارز في الحياة الادبية والفكرية والسياسية، إذ يعتبر خلاصة صافية للتجارب الإنسانية، ومصدراً لتدوين معارفهم المختلفة، وتنطبق هذه الحالة على الشعر العربي، فنجد فيه من الحكمة والمعرفة ما يكف لتثبيت هذه الفكرة، ولهذا كثر استخدام مصطلح " الشعر ديوان العرب" من قبل النقاد، والشاعر د/ جابر البراجة كان يعرف للشعر قدره ومكانته من حيث تعبيره عن الوجدان، وخلجات النفوس، وارتباطه بتصوير مآثر الشعوب وفضائلها فنظم قصيدة بعنوان " مكانة الشعر " قائلاً [1] :

الشعر يعلي في الكرام مكاننا ويريهمو ما قر في أذهاننا

فهو المعبر دائما عن حلمنا وهو اللسان الحر في عمالنا

وهو المنارة فوق كل منارة وهو السبيل إلى تلاقي فكرنا

أفلم يسجل للعروبة مجدها وأرانا ما قد كان من أجدادنا

فالشعر ديوان المكارم عندهم وهو الطريق إلى مآثر عصرنا

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٩٩ .

لا تعبأن بمن ينال بشعره رجلا كريم الأصل من أطهارنا

فصنيع هذا في العلوم مسفه ورفيق دربه ليس من أقراننا

أما الذي يشدوا بكل فضيلة فهو الجدير بحب كل رفاقنا

أنعم به من شاعر نبذ الخنا وأراد نشر الخير بين ربوعنا

فالشعر سجل للأمجاد، ولسان حال العرب، ومنطق حالهم، والمنارة التي ينتج منها شعاع النور في الأفاق، وهذا يدل على محاكاة الشعر العربي للأحداث الاجتماعية التي تسود في كل عصر وزمان، أي أنه يعالج القضايا الاجتماعية، وهنا يبرز دور الشاعر الذي يؤمن أنه محط آمال الجماعة فيبدأ يوصف الأحداث، والتجارب، والقيم المعنوية مثل الشجاعة، والكرم، والنيل، وبشكل عام يوجد جانبين للوظيفة الاجتماعية الشعرية : جانب إيجابي يؤكد على تعليم الفضائل، وتخليد قيم الجماعة وهذا ما قصد إليه الشاعر بقوله [١]

أنعم به من شاعر نبذ الخنا وأراد نشر الخير بين ربوعنا

وهناك جانب سلبي لم يكن الهدف منه سوى النيل من الآخر وعدم مراعاة خلق أو دين وهذا ما أراده بقوله [٢]

---

(١) السابق، ص ١٠٠ .

(٢) السابق، المرجع نفسه .

فصـــــنيع هذا في العلوم مســـــفه ورفيق دربـــه ليس من أقراننـــا

فالشعر الذي يتوافق مع القيم الخلقية هو الذي ينال استحسان الشاعر، أما الشـــعر الذي لا يحمل مضـــموناً رفيعاً – وكان الهدف الرئيس من ورائه الذم والقدح في الأخرين – فهو ما يستقبحه الشاعر ويستهجنه .

ومن شـــعره الاجتماعي هذه القصـــيدة التي نظمها بمناســـبة مولد ابنته الصغرى " دعاء " والتي جاءت تحت عنوان " يوم مولد قطتي " يقول [1]:

فـي يـوم مـولـد قـطـتـي ظـهرت بشـــــائر فرحتي

فلقـد دعوتُ منـاجيـا ربي ليـذهـب وحشـــتي

جـاءت دعـاءُ بـنـعـمـة لم أحصـــــهـا في وجدتي

فـالخير كـان رفيقهـا والحـب ظـلـل بـهـجـتـي

من قبلهـا كـانـت مهـا تـروي الـفـؤاد بـرفـقـتـي

وبمروة قـد عشـــــت في حـب يظلـل ســـــاحتي

و يـؤمـهـم كـان الـوفـا رمـزا يـقـلـد مـقـلـتـي

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٢٣ .

والـيـوم جـاء مـحـمـد لـمـا أجـبـت دعـوتـي

يـا يـوم مـولـد قـطـتـي هلا ســـعدت بصـــحبتي

فلقد نســـيتُ بك الضـــنا وعـلـمـت أنـك فـرحـتـي

عُـدْ فـالقلوب ســـعيـدة فـلـقـد أجـيـبـت دعـوتـي

فالقصـــيدة عالية القيمة الفنية، رقيقة الأســـلوب، شـــفافة العاطفة، تعلوها الحركة والحيوية، والخيال الجامح، الرائع التصوير، ففي المفتتح عبر عن بهجته العارمة بقدوم ابنته " دعاء" التي طالما دعا ربه مناجياً كي يذهب عنه وحشـــته التي انصرمت بقدومها، ويبدو أن القصيدة لم تقتصر على فرحته بقدوم " دعاء " فقط بل ســبقتها " مها ، ومروة، وأحمد "، ولم ينسْ شـــاعرنا الحديث عن رمز الوفاء والحنان عن زوجته التي كانت نعم المعين والسند .

وتتضـــح معالم التجربة الشـــعرية في القصـــيدة وضـــوحاً كاملاً حيث أن القصيدة ذات بناء متكامل، حيث تشتمل على " حدث فكري نفسي، يعني موقعاً معيناً للشاعر، عاشه أو عاش فيه من فاتحته إلى خاتمته لأول مرة بحيث أبرزه عملا قائما بنفسه " [1]

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١٤٠ .

ولم يتوقف الشـــعر الاجتماعي الوارد بديوان بشـــائر النور على حديث الشاعر عن أبناءه فحسب بل كانت هناك بعض الأبيات الشعرية التي تحدث فيها عن أحفاده مثل قوله في قصـــيدة بعنوان " نور العيون" والتي تحدث فيها عن حفيدته " نور" والتي كان مولدها في ليلة السابع والعشرين من رمضان:(١)

نور العيون طليعــة الأحفــاد عشـــق الفؤاد وفلـذة الأكبـاد

أشـــرقت بين النور يوم نزوله في ليلــة القرآن والأمجــاد

فغدا ملادك في ســـماء حياتنا ذكرى تتوّج مولـدَ الأحفــاد

يــانور عيني التي أرنوبهــا عيشـــي فأنت الحب للأجداد

بل أنت خير جليســة تحلو بها كل المجالس في رضــاً وسـهاد

هـل تعلمين بــأن يوم ملادك قد كـان يوم الخير للأشـــهاد

فالقصـيدة يتغنى فيها الشـاعر بفرحته العارمة بقدوم حفيدته " نور " عشـق الفؤاد، وفلذة االأكباد، التي كـان قدومها ليلـة نزول القرآن الكريم، ولا يخفى أن تلاقي قدومها مع ليلـة نزول القرآن الكريم، يجعل يوم ميلادها يوم خير وبركه للبشــر أجمعين، وقد اســتعان الشــاعر على إبراز عاطفة الفرح والســرور لديه بألفاظ تدل على البشـارة مثل (نور العيون، عشـق الفؤاد، أشـرقت بين النور، تتوج مولد الأحفاد)، وتوافق العاطفة مع الصــياغة تدل على أن الشــعر العربي

من أهم الأدوات اللغوية التي استخدمها الأجداد العرب منذ مئات السنين للتعبير بلاغة عن كل المواقف الحياتية، التي تمتع الآذان وتغذي الأرواح بأجمل وأعذب الكلمات والمعاني.

وللشاعر قصيدة أخرى بعنوان " زهرتا فؤادي " كتبها في أول حفيدتين له حيث تعلق بهما وبوجودهما معه وهما نور ومريم، يقول (٢):

يا زهرتان بين الرياض تتسابقا ليكون قلبي طوع أمر كليكما

ولم السباق إلى قلبي طالما أن الحنين من الحنين إليكما

هل تُدْرِكان الحب في قلب هفا بين الضلائع قبل أن يدرككما

لا تتركاني بعد حب رؤاكما إني عشقت الليل من عشقيكما

هل تعرفان حبيبتي بأنني أصبحت أهفو في النهار إليكما

وأظل أرتقب المسافي لهفة حتى تجيئا إلى الديار كلاكما

يتضح من الأبيات أن الشاعر ارتبط بأحفاده ارتباطا واضحاً معبراً عن أحاسيسه بدقة ونغمة موسيقية رائعة، ففي البداية استهل أبياته بأداة النداء مضيفاً إليها وصف حفيدتيه بأنهما زهرتان تتسابقان إلى قلبه، ثم تساءل : لم هذا السباق طالما أنهما يشغلان كل فؤاده طالبا إليهما أن لا يتركانه وحيداً، فقد بلغا من قلبه مبلغاً لا يتصور معه أن يمر يوم بدون رؤيتهما .

وفي هذا النص يكثف الشاعر الصورة وقلما يكون حسياً منقولاً عن واقع العين والنظر بل يغلب أن ينقل عن واقع النفس والظلال الشعورية [١]

وبذلك امتاز الشاعر د/ البراجة بقوة الشعور ويقظته، واتساع مداه، ونفاذه إلى صميم الأشياء، وكان كلامه مطرباً مؤثرا في النفوس وهي تواقة إلى سماعه واستجابته، وتخفى الصورة وراء الحواس شعوراً واعيا ووجدانيا عميقا ولذلك اتسم شعره بحرفية الطبع السليم .

فقد استغل القيمة الايحائية لمفرداته في التعبير عن تجربته فانظر إلى عبارة أن الحنين من الحنين إليكما، التي توحي بأن حفيدتاه أخذتا بلبه حتى ظن أن الحياة بدونهما لم تعد حياة، وكذا عبارة " ارتقب المسا في لهفة " التي أوحت بمعاناة الشاعر وصورت شغفة الشديد لرؤية أحفاده، حيث جعل من نفسه مترقباً تتملكه اللهفة الشديدة للمساء كي يظفر برؤيتهما .

(١) النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، ص ٣٩٥، دار نهضة مصر .

الباب الثاني

معالم التشكيل الفني في ديوان بشائر النور

المبحث الأول : المعجم الشعرى

المبحث الثانى: الصورة الفنية

المبحث الثالث: التشكيل الإيقاعى

المبحث الأول

المعجم الشعري

المعجم اللغوي الشعري هو المتن اللغوي الذي يشكل مجموع المفردات التي استخدمها الشاعر في نصه المدروس التي تكونت من خلال بيئته وثقافته ومناخه الذي عاش فيه، وهذا المعجم يتكون من أساسين، الأول : الشق الكمي، ويقصد به كم الألفاظ التي تكونت في ذاكرة الشاعر من خلال قراءته وتجاربه وثقافته، وهذاما أشار إليه جون لاينز بقوله " إن السلوك اللغوي إنما هو فعالية معتمدة على الثقافة "[1] .

والشق الثاني هو الشق الكيفي، ويقصد به كيفية تشكيل الشاعر لهذه المفردات في النص.

---

(١) اللغة والمعنى والسياق لجون لاينز، ترجمة / عباس صادق عبدالوهاب، ص ٢٤٠، سلسلة المائة كتاب، دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٧ .

هذا وأول ما يلفت النظر في النص الشـــعري ألفاظه وهي ليســـت ألفاظا محددة بدلالة يدل بها الشـعراء على أشـياء حية من واقعهم الخارجي، فإنهم لا يعبرون عن هذا الواقع ومسمياته، وإنما يعبرون عن واقعهم النفسي، وما تحتاج به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس [١].

والشعر لا يعتبر فنا جميلا في بنائه الفني وحده بل في تفصيلات أسلوبه التعبيري وفي الطبيعة الجمالية للشعر تنبثق اللغة الشعرية أو معجم الشعر[٢].

ولقد تعددت المصـادر التي اسـتمد منها الشـاعر د/ جابر البراجة معجمه الشعري، منها :

١- الطبيعة :

لقد اسـتمد الشـاعر ألفاظه من الطبيعة التي أمدته بمفرداتها التي اتسـعت للتعبير عن أحاسيسه المختلفة والمتباينة ومن ذلك قوله في قصيدته التي جاءت تحت " الهجرة النبوية " [٣]

عش اليمامة قد بدا قصـــرا تراه إلى المغيب

والعنكبوت بفرحـة نســـج الملاءة للحبيـب

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١٢٩ .

(٢) الأدب وفنونه، د/ محمد مندور، ص ٣٧، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٣) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة .

فالعناية الإلهية أحاطت الرسول الكريم بسياج من الطمأنينة، حيث تحول " عش اليمامة " إلى ما يشبه الحصن المنيع عندما حاول الكفار أن يدخلوا الغار كي يظفروا بالرسول (ص) وصاحبه وأيضا نسج العنكبوت خيوطاً ظن معها المترقبون أن هذا الغار لم يدخله أحد منذ سنين عديدة، وهذا يدل على أن الحيوان ربما يوحي " للإنسان بما لا يوحيه الإنسان للإنسان، فقد علمت الطير للإنسان كيف يواري سوأة أخيه بعد موته، فقال :

"يا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ "[1]، وربما استوحى من بيت العنكبوت صناعة النسيج، ومن عش الطائر بناء بيته، إلى غير ذلك من مزايا الحيوان التي نقلها عنه الإنسان [2] .

كما يستمد الشاعر من ألفاظ الطبيعة ما يعبر عن مضامين رفيعة احتواها الديوان منها حديثه عن " الليل والنهار " الذي جاء كثيرا في ديوانه، من ذلك قوله في قصيدته التي تحمل اسم الديوان نفسه " بشائر النور (" ٥)

المولد النبوي يظهر نوره فيعم كل الكون بالنفحات

ويزيل ظلم الليل من جنباته فيجيء صبح باسم الثغرات

(١) المائدة آية ٣١ .

(٢) رثاء الحيوان في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي، د/ السيد احمد عماره، ص ١٠، ط ١، ١٩٩٦ م .

نجد لفظتا " ظلم الليل، صـــبح باســـم " عبارتان محوريتان توحي بأهمية الحدث العظيم المتمثل في ميلاد الرسول الكريم، الذى كان بمثابة الشعاع الذي أخذ بتلابيب عقول أهل الكفر، وعطرها بنور الهداية، فتعطرت أرجاء مكة، وسرى أريج العطر في النسمات .

وقوله في حديثة عن قدوم شهر رمضان [١]:

نصـــوم نهاره دوماً ونحيي ليلـه دينـا

فلفظتى " نهاره، وليله" جاءتا معبرة عن المشـــاعر الدينية لدى الشـــاعر، والتي يحياها المسلمون جميعاً في شهر رمضان من صيام نهاره وقيام ليله .

وقد استمر الشاعر د/ جابر البراجة في استخدام ألفاظ الطبيعة للتعبير عن تجربته الشـعرية ومنها لفظة " رياح " التي جاءت للتعبير عن الثورة الإيجابية في قوله من قصيدة " رياح التغيير " [٢]

هبـت ريـاح لم أجـد مثلهـا صـعدت بفضـل الله صـب المنتهى

قد غيرت أقوال قومي بعدما سقط القناع وبان صدق أولى النهي

(١) ديوان بشائر النور ص ٢٣

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٦٣

فهنا نجد " الرياح" تهب في كل مكان وتصعد بفضل الله صوب المنتهى، فالريح تعبر عن ثورة ٢٥يناير التي وصلت إلى الغاية بتغيير أحوال النظام بعد فضحه وكشف زيفه وفساده، وتأمل كلمة " رياح " التي جاءت نكرة في صيغة الجمع لتعبر عن التغيير الشامل في حياة شعب مصر بقيام ٢٥ يناير التي شارك فيها جموع طوائف الشعب .

٢- المصدر الديني :

تثقف الشاعر د/ جابر البراجة ثقافة إسلامية، وتلقى علومه في الأزهر الشريف فنبت نباتاً حسنا، واختلطت فصاحة اللغة بمشاعره الجياشة، ولقد اكسبته دراسته للغة وعلومها ومنابعها الفياضة، وارتباطها بعلوم الإسلام، ما جعل شعره يفيض حيوية ويذكي فيه روح القيم التي أقامها الإسلام ورعاها، وهي تسيطر على ديوانه فتجد الروعة والجمال، والبهاء في أحلى صورة، والمتأمل للديوان يلمس حضورا بارزا للمصدر الديني في موضوعاته المتعددة، فيجد فيه تناولا للهجرة النبوية والمولد النبوي، والإسراء والمعراج وشهر رمضان، وفتح مكة وعيد الفطر، والليالي العشر وعيد الفداء إلى غير ذلك .

وقد استمد الشاعر د/ جابر البراجة مفرداته من المعجم الديني في حديثه عن ليلة القدر من قصيدته " ليلة القدر [١]

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٣٠ -٣١

في ليلــة القرآن كــان محمــد في الغـار يـدعو الواحـد القهـارا

فـأجـاءه وحيُ الســـمـاء بنوره ليزف بشـــرى كونـه المختـارا

وبـأن رب العرش قـد أعطى لـه إذنـا ليبدأ باســـمـه المشـــورا

فيرد رب العرش في عليـائــه إنــا جعلنــا عنــدنــا أنهــارا

في جنـة قـد قـاب من أنهـارهـا من كان يحمل عنكم الأســـرار

فهنا نجد الألفاظ الدينية " ليلة القرآن، محمد، في الغار، وحي السماء، رب العرش، أنهارا، جنة، قاب " تضــفي على النص جواً من الصــوفية والروحانية، فقد تفنن في وصـف ليلة القدر التي كانت أمارة خير وبشـارة يمن وبركه بنزول القرآن الكريم فيها، فأشرقت الدنيا بهجة بنزوله وصفت النفوس وانتشت بالرحمة الربانية التي عم الكون، وتحقق معها الرضـا ا لنفسـي، وهكذا اسـتطاع الشـاعر د/ البراجة أن يصل بدلالة تلك الألفاظ الدينية إلى ما يريد .

ومن ألفاظ المعجم الديني أيضا قوله من قصيدته " الليالي العشر": (٢)

عشـــر حبـاها الله كل مكـارم شــرفت بفضــل وجودها الأيام

فيهـا يثـاب العبـد عن أفعـالـه ضـعفا وتسـمو باسـمها الأعوام

قد حدد الديان في أثنائها فرضـــا تتيه بذكره الأقلام

توحيد رب العرش من أهدافه وبــه يتم الركن والاســـلام

جمع الحجيج موحد لصـــفوفنا في ظلــه تتوحد الأعلام

فالشاعر استمد معجمه من القاموس الإسلامي فنجد (يثاب العبد، ضعفا، فرضـــا، توحيد، رب العرش، الركن والإســـلام، الحجيج) ولا ريب أن اســتخدام الشاعر لهذا النوع من الألفاظ الدينية يساعده في تعزيز فكرته بما لا يدع مجالا للشــك في وجدان المتلقي خاصـــة أن الألفاظ الدينية في النصـــوص الشــعرية تساعد في سعي الذهن البشري لحفظها ومداومة تذكرها .

ومن الألفاظ الدينية التي احتواها ديون بشـــائر النور قوله من قصـــيدته " في رحاب الشهر الكريم"[1]:

شــهر الصــيام لقد ملأت قلوبنا حبــا بــذكر لــلإلــه يعطر

فــالله يغفر للعبــاد ذنبوهم ويضــاعف الحسنات فيه ويقدر

ويقيد الشـــيطان طيلة شـــهره ويفتح الجنــات فيــه وينظر

شهر الصيام لقد أوتيت فضيلة نالت جميع الصــائمين ليشكروا

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٢٥ .

فالأبيات تعلوها الصبغة الدينية وقد اتضح ذلك من خلال قوله " شهر الصيام، بذكر الإله، يغفر للعباد، يضاعف الحسنات، الجنات "، وقد جاءت هذه الألفاظ ملاءمة للسياق الشعري، فحديثه عن شهر رمضان وما يتضمنه من روحانيات عالية، ذكر وصلاة وصيام وقراءة قرآن، جاء متوافقا مع الألفاظ الدينية التي جعلها سياجا لمضمونه الشعري .

ملاءمة الألفاظ للسياق الشعري :

إن المتأمل لديوان " بشائر النور " للشاعر د/ جابر البراجة يجد أنه ذا حس بمواقع الكلمات، وإذا كان اللفظ العادي يكتسب قوة شاعرية بارزة إذا دخل في جملة أو تركيب شعري،أو صورة بيانية، فإن الألفاظ التي استخدمها د/ البراجة كلها عادية، واكتسبت إيحاءاتها، ومدلولاتها الشعرية من صياغتها وتركيبها في السياق الشعري، وإذا تأملنا ألفاظ الشاعر د/ جابر البراجة، وجدناها تتجانس[١]، مع المعنى فيكون رقيقا في مواضع الرقة، وقوياً عنيفاً في مواضع العنف والقوة [٢].

من الألفاظ التي تعبر عن الهدوء و الرقة لفظة " الطير " التي عبر بها شاعرنا عن الحياة السعيدة في ظل الثورة وذلك في قوله من قصيدته " مصر الوفاء "[٣]

---

(١) الأدب وفنونه د/ م حمد مندور، ص ٢٩، دار نهضة مصر .

(٢) الشاعران المتشابهات، ابوالقاسم بدري، ص ٩، ط دار المعارف، مصر

(٣) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة

صـاحبي هنا امسـحا دمع الكيلم وكفكفـا

فـالطفل بـات ميتمـا والطير بـات مرفرفـا

فهنا يوحي لفظ (الطير) بالبســـاطة والطلاقة والعفوية من فرح بالحياة مما يجعله ســـعيداً " مرفرفا كما يوحى ذلك بالإشـــراق والبهجة فى عهد ثورة ٢٥يناير وقد اتخذ من الطير وســـيلة للتعبير عن ذلك المضـــمون فهي رمز للسلام والمحبة والجمال .

وقد تأتي لفظة الطير لتوحي بالقرب بعد البعد والوصـــال بعد الهجر من ذلك قوله في قصيدته "عود بعد هجر " [١]:

فلقد صـــبرنا مذ هجرنا عشـــنا لنزيـل مـا قـد غير الأحوال

ونعيد طيرا قدْ تَحَيَّرَ في الفضـــا وتُرَحَ قْلباً صَـــارَعَ الأهوالا

يصف الشاعر في هذه القصيدة حالته عند رؤيته المحبوبة، بعد فراقها فترة طويله، جاعلاً من الطير رمزاً للتعبير عن حالة التِّيْه التي تملكته بسـبب الفراق و الهجران، فتدفقت دموع الأسـى على خده، وجعل وصـلها اسـتقراراً لهذا الطير الذي يحلق في عنان السماء .

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٧٩ .

ولما كان الغزل من الأغراض الشـعرية التي تتطلب ألفاظاً رقيقه عذبة، لا غموض فيها ولا التواء، وجدنا أن الشـــاعر د/ جابر البراجة راعى ذلك رعاية تامة مثل قوله من قصيدته " القلب الهائم [1]

فســـتعلمين بـأنني قد كنت دوماً عاشـقاً

فلقـد كتمـت مخبتي وأبيت أن اســـتغرقا

كي لا أكون مسـفها أو أن أكون مراهقـاً

لكن قلبـي هـائم وبـدا يواجـه مـأزقـا

أأظـل أكتم حبـك ويظـل قلبي غـارقـا

لكنني لم أســـتطع إخفـاءه عنـد اللّقـا

فهذا الشـعر يفصـح عن رقة رقيقة ودقة عميقة في الحس والشـعور لأنه يرتبط بالعاطفة، ووصف مكنونات الشاعر ولو اعجه النفسية، فقد استعان على تصوير حالته النفسية بألفاظ " عاشقاً، قلبي هائم، قلبي غارقاً " وهذه العبارات تتوافق مع الغزل خاصـة إذا نبع من تجربة الشـاعر الصـادقة، فهو أقرب إلى

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د/ شوقي ضيف، ص ٢٩ .

النزعة الوجدانية حيث يستمد الشاعر معانيه بما فيها من عطاء الشعور وأثر الحس والخيال من علاقته بالمرأة ونظرته إليها .

وإذا تحدث الشاعر د/ جابر البراجه عن الثورة وما يتبعها من اضطراب أمني وفقدان للشرطة في جميع أنحاء البلاد استخدم ألفاظا قوية، ثائرة حانقة توحي بالثورة الداخلية المشتعلة، و الألم النفسي الذي أخذ بلبه وقلبه وهذا يؤكد مدى انصهار الشعر و الثورات في بوتقه واحدة، فالشعر هو المحرض والفاعل، هو نبض الأمم وقلبها الخفاق هو لسان حال الآلام والآمال يقول في قصيدة تحمل عنوان " رسالة إلى المسئولين" (١).

إلام الخلف يا قومي إلام وهذي الفتنة الكبرى علاما

هل الدستور قرآن سيتلي فيرضي الله أو يهدي الأنام

أم الدستور إنجيل مضفي يذيب الحقد أيمحو الأثام

أراكم قد بليتم بأختيار فقد تم فيه قومكم الكراما

لم ارتعشت يداكم حين صغتم لجانا فرقت قوما عظاماً

صبرتم في عهود قد تلاشت فبات الصبر في يدكم وساما

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجه، ص ٧٨ .

فكيف بكم وقد صـــرتم أســـوداً يزول الصـــبر أو يلقي الملاما

فتأتي ألفاظ الشـاعر هنا مشـتعلة بالغضـب والحنق جراء اختلاف أعضـاء الجمعية التأسـيسـية الأولى لكتابة الدسـتور بعد الثورة، ومن هذه الألفاظ " إلام الخلف، هل الدستور قرأن يتلى، أراكم قد بليتم باختيار، لم ارتعشت يداكم " .

يتضـــح أنهـا تعلوهـا التهكم والتحقير من أولئـك الـذين يختلفون لمجرد الاختلاف (أعضـاء اللجنة التأسـيسـية لوضـع الدسـتور)، حيث أبان أن هذا الدسـتور من وضـع البشـر فليس بكلام الله " قرآن أو انجيل" وبذلك يقرع ناقوس الخطر الذي يتمثل في الاختلاف الشديد حول الدستور .

وهكذا نجد ألفاظ (الشـاعر د/ جابر البراجة) تمتاز بالسـهولة واليسـر وعدم الابتذال، كما أنها تمتاز بالدقة، وجاءت في موضـــعها من التجربة لتوحي بمعناها المناسـب، وهذا يدل على " أن الصـياغة عبء وجهد، وليسـت لقي في الطريق، وأيضـــا ليســـت عبادة للتقاليد، إنما هي نمو وتحول مع فهم أســـرارها وتجليها بروح جديدة ومعان جديدة، فالقديم يلتقي مع الجديد، والماضـــي يلتقي مع الحاضـــر التقاء مثمراً، لا تخذل فيه الصـــياغة المعنى، بل تزيده روعة وبهاء"[١]

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ص ١١٨ .

المبحث الثاني
الصورة الفنية

الصـورة الشـعرية إحدى أهم الركائز التي تبنى عليها القصـيدة، ذلك لأنها تسـاعد الشـاعر في تجسـيد الأبعاد المختلفة لآفاق رؤيته الشـعرية، فبواسـطة الصـورة يشـكل الشـاعر أفكاره وخواطره وأحاسـيسـه ومشـاعره في شـكل فني محسـوس، وبواسـطتها يصـور رؤيته الخاصـة بالوجود، والعلاقة الخفية بين عناصره [1] .

والصـورة عند الشـاعر د/ جابر البراجة لاتقف عند مشـاهدها الحسـية بل تشـمل روح القصـيدة وخواطرها، وتنقل إلينا تجاربه العميقة، وشـعوره القوي، وتفاعله مع الأحداث من حوله، مما يحيل الصـورة إلى لوحه فنية متكاملة تجتمع فيها الألوان والظلال والحركة، وتنقلنا إلى جو الشـاعر المفعم بمشـاعره الجياشـة وقد تمثلت الصـورة الشـعرية في شـعره بأقسـامها المختلفة المفردة والمركبة.

وتكمن جمالية اسـتخدام الصـورة عند الشـاعر د/ جابر البراجة في خلق صورة جديدة لصور قديمة، مستندة إلى خيال خصب، باستخدام اللغة وأدواتها، وفي اختراق يشق الغبار الحسي، لمعرفة معلم من معالم الجمال عند الشـاعر، فهي رسم لإحساس الشاعر باستخدام ألفاظ اللغة، وتوظيفها في سياقات تناسب

(١) ابوالقاسم الشابي، د/ عبدالحفيظ محمد حسن، ص ١٩٧، مطبعة لتيسير القاهرة .

حالته الشعورية، وقد كانت الصور عند البراجة، وفيرة كثيرة، ومثلت عنصرا من عناصر التشكيل الجمالي في شعره، مما يدل على خصوبة إبداع الشاعر .

أولاً : مصادر الصورة الشعرية في ديوان " بشائر النور "

لقد تعددت مصادر الصورة الشعرية التي رسمها الشاعر وتنوعت واعتمدت هذه المصـــادر فى أغلبها على تفاعل الشـــاعر مع بيئته وثقافته ومجتمعه، والطبيعة المحيطة به وخياله المتقد .

وقد تأثر الشـــاعر د/ جابر البراجة بالكثير من العوامل المحيطه به التي ساهمت في ا نتاجه ورسمه للصور الشعرية المختلفة في قصائد منها :

أ- الطبيعة :

إن المتأمل لديوان بشـائر النور للشـاعر د/ جابر البراجة يجد أنه جعل من البيئة والطبيعةا لتي نشـــأ فيهما (حيث نشـــأته في قرية " إبيا" مركز كفر الزيات) فضـاءً رحباً لانفعالاته الوجدانية، ومصـدراً ملهما للصـورة الشـعرية التي تزخر بها قصـائده، فأحالهما من جماد صـامت إلى صـور ناطقة مفعمة بالحياة والحيوية.

ومما يمثل ذلك قوله من قصيدته " انتظار الثورة والاعتذار لثوراها" [1]

سـئمت العيش في عهد أبـي أن يـرتـوي ثـمـره

(١) ديوان بشائر النور ،د/ جابر البراجه، ص ٦٩ .

فمـاء النهر مســموم وشـط البحر ذا قصـره

فالشـاعر يتحدث عن حالة الاسـتبطاء التي عَنَّتْهُ هو وجموع الشـعب المصـري، حيث إن الجميع لديه تأهب شـديد لقيام ثورة ٢٥ يناير، رغبة في التغيير والوصـول بالمصـريين إلى حياة مُثْلى، وقد اسـتعان الشـاعر على إبراز فكرته تلك باسـتخدام مفردات الطبيعة " ماء النهر، وشـط البحر" التي جعلت الصـورة نابضـة بالحركة والحيوية، حيث جاءت في النص لتعبر عن التفجع والحسـرة والألم وتفيض بشـعور الحزن لاغتيال مظاهر الطبيعة الوادعة، وترى فى الأبيات القتامة والكأبة حيث " ماء النهر مسموم، وشـط البحر ذا قصـره "، وهذه المفردات جاءت معبرة عن إدانة تامة للنظام البائد الذي كان يغتال كل ما هو جميل في حياة الشعب المصري، ولا ريب أن اعتماد الشاعر على عناصر الطبيعة،انتج صورة شعرية انعكست فيها ذاته وكوامنه المتيمة بحب وطنه حيث " إن العودة إلى الطبيعة هي عودة إلى الذات " [١].

وفي قصـيدة " مصـر الوفاء " يسـتمد الشـاعر صـورة شـعرية مسـتوحاة من الطبيعة تتمثل في حركة الطير التي ترفرف فوق الأغصـان اسـتبشـارا بالتغيير، يقول فيها [٢] :

يا صـاحبي هنا امسـحا دمع الكليم وكفكفـا

(١) حركية الإبداع / خالدة سعيد، ص ٢٩، ط دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٧٥ .

فـالطفـل بـات متيمـاً والطير بـات مرفرفـا

فالشاعر رسم صورة لحال الشعب المصري الذي كان يرنو إلى الأفضل وتغيير الحال السيئة التي وصل إليها قبل ثورة ٢٥ يناير، مستخدما صورة الطير الذي يرفرف للدلالة على استمرارية الفرح المنبعث في نفسه من هذا المشهد وقد جمع في هذه الصورة بين أفعال الحركة " الطفل بات متيما " وبين الصوت المتمثل فى حركة الطير أثناء رفرفته " لإحداث المشاركة الوجدانية ومالها من تأثير في قلب السامع .

وقد كثرت في هذه الصورة حروف المد " صاحبي، امسحا، الكليم، كفكفا، مرفرفا " مما يوحي بشدة وقع جمال مضمون الصورة في نفس الشاعر، فحروف المد تفسح المجال أمام نفس الشاعر، ليعبر عما في داخله عند رؤيتها .

ب- الدين :

تلقى الشاعر د/ جابر البراجة تعليمه بالأزهر الشريف، وحفظ القرآن الكريم وهو في سن صغيره، وقد أسعفته ثقافته الدينية في جعل شعره لم يخل من إشارات أو ألفاظ لها ارتباط بالقرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو السيرة النبوية، طلبا للإقناع وجودة في التصوير، وهي طريقة جرت عليها عادة الشعراء لتحقق الوقع والصدى في نفس المتلقي .

يرسم الشاعر د/ جابر البراجة في قصيدته " الهجرة النبوية " صورة شعريه لحادث الهجرة وما تعاوره من أحداث وملابسات بداية من دخول الرسول الكريم وصاحبه إلى الغار، مرورا بتربص الكفار على باب الغار، إلى العناية الالهية

التي أحاطت الرسول وصاحبه بسياج من الأمن والطمأنينة،مقتبسا هذه الصورة من قول الله عز وجل في سورة التوبة " إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (١) .

يقول : (٢)

في ساحة الغار العجيب	نظر الصديق إلى الحبيب
أيرانا قومي ها هنا	في عشنا الهادي الرحيب
عش اليمامة قد بدا	قصراً تراه إلى المغيب
والعنكبوت بفرحة	نسج الملاءة للحسيب
ليضل قوما منهم	عرفوا العلامة كالطبيب

يتضح من النص تكرار حرفى السين والباء، وقد وظفهما الشاعر كي يتوافقان مع مضمون الأبيات، فقوة الحدث (الهجرة النبوية)، تلائمه حرف الباء

(١) سورة التوبة،آية ٤٠ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٣ .

التي تستخدم للدلالة على القوة والشدة وحرف السين من الأحرف المهموسة التي تحمل نوعاً من التوجس والخيفة اللذان كانا يختلجان قلب الرسول (ﷺ) خشية أن يراه المشركون وهو بالغار فلا يتمكن من الاستجابة لما أمر الهجرة من مكة إلى المدينة .

كذلك نرى استخدام الشاعر للمدات كثيراً مثل (العجيب، الحبيب، الهادي، الرحيب، المغيب، العنكبوت، الطبيب) جعل الصورة نابضة بالحياة والحركة، وقد تعاونت هذه الأصوات مع بعضها لتدل على أن الشاعر استطاع أن "يحمل ألفاظه أقصى طافتها الشعورية والتعبيرية بحيث تصير مخزوناً من الفكر والعاطفة والصور " [1] .

ويرسم الشاعر صورة تعلوها الحيوية والحركة لقصة سيدنا ابراهيم الخليل مع ابنه مستلهما الآية القرآنية " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ " [2] .

يقول : [3]

بعث الاله إلى الخليل مناجيا أن قم ولبِّ أوامر الرحمن

(١) في النص وقراءة النص، د/ محمد احمد العزب، ص ١٢، مكتبة الايمان، المنصورة .

(٢) سورة الصافات، آية ١٠٢ .

(٣) بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٣٧ .

واضْــجَع حبيب القلب وانظر حوله تجد العناية منتهى الإحســـان

فــالله قــد أعطــاك فــدْوًا بـيِّنــاً لما وضـعت السّـنِ في الأذْقان

وصَـــدَقْتَ ربَّ العرش في إيحائه وشَـرَحْتَ لابنك قصــة القربان

فيجيبــك الإبن العزيز مطــاوعــاً افعـل ولـب الأمر في إتقـان

يرسم الشاعر صورة لحادث الذبح العظيم من خلال قصيدته " عيد الفداء"، مســـتهلاً أبياته بالحلم الذي رآه الخليل ابراهيم وهو يذبح ابنه، ثم امتثال ابنه للأمر الإلهي والعناية الإلهية التي أحاطته،حين فدى بذبح عظيم .

ومن خلال الصــورة نجد أن الشــاعر أكثر من الألفاظ الدالة على الحركة والنشاط " قم، لبِّ، أضجع، أنظر " لتناسب تجليات الأوامر الإلهية لدى الخليل ومدى اســـتجابته وامتثاله، الذي كان من نتيجته فداء ابنه بكبش أقرن إلى أن صار الأمر ناموساً متعارفاً في عيد الأضحى المبارك .

ج- النزعة الوطنية :

لقد تناول الشعراء على مر الأزمان صورة الوطن في قصائدهم، وأفردوا له مســاحة كبيرة في نصــوصــهم الشــعرية، تغنوا فيها بجماله، وبعظمته وبحبه والمفاخرة به، وغيرها من الموضـوعات والمقاصـد الشـعرية، وعلى ذات المنهج ســـار الشـــاعر د/ جابر البراجة، حاملا هموم وطنه وأفرد له مكانة كبيرة في ديوانه " بشائر النور"، حيث أدرك الخطر الذي يتهدد وطنه إبان ثورة ٢٥ يناير

من انفلات للأمن ودخول بعض الفئات التي تهدف إلى زعزعة الأمن في البلاد.

من هنا نرى الشاعر د/ جابر البراجة يرسم لنا العديد من الصور الشعرية لوطنه وما يمر به من خطوب وأحداث ووقائع، ونجد ذلك في قصيدته التي تحمل عنوان " شباب التحرير " يقول:(١)

شـــباب الثورة العظمى تعالوا نبسـط الأسـاريرْ

ونســـــمع كـل قـوَّال يبين الحـب في التعبيرْ

ونـرفض زمـرة هبَّـبْ لنِشْـرِ الذُّعر والتشـهيرْ

بدأ الشاعر رسم صورة الثورة المصرية باستخدام لفظة " شباب " متصدرة بحرف النداء " يا " للدلالة على قرب هؤلاء الشباب من قلبه، وأن التغيير الذي يصبو إليه سيأتي بسواعدهم، ونوع في الأساليب الإنشائية مستخدما اسلوب الأمر " تعالوا " للتعبير عن انفعالاته الداخلية المليئة بالغضب والثورة لحال ابناء الشعب، ولا خفى أن استخدام، نا" الفاعل في قوله " نبسط ، نسمع، نرفض " جاء معبراً عن روح التعاون والاتحاد بين أبناء الأمة جمعاء بغية الوصول إلى حماية الوطن من تلك الفئة الضالة التي تهدد أمنه وأمانه .

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة .

وفي قصيدة " شهداء الحدود في رمضان " يرسم د/ البراجة صورة يعلوها الحزن الشـــديد على هؤلاء الجنود الذين نالتهم أيدي الغدر لحظة إفطارهم، يقول(١) :

أيُصَـــفَّدُ الشـــيطانُ في أيامنا أم يسكن الأشرار من سفهائنا

قتل وترويع وســـفك للدما في وقت إفطار لجند حدودنا

جلسوا ليسمعوا صوت أي مؤذن في أعلى ربع من ربوع ديارنا

فيلوك بعده كل فرد تمرة ويظل يحرس في حدود بلادنا

لكنهم لم يهنأوا بطعامهم بل ماتوا غدراً في نهار صيامنا

بدأ الشاعر قصيدته باستخدام أسلوب الاستفهام القائم على التعجب من هذا الجدب الجلل الذي أدمى القلب قبل العين، حادث اســتشـــهاد الجنود أثناء تناولهم طعام الافطار في شــهر رمضـــان المبارك، ولا يخفى أن عاطفة الحزن مسيطرة تماماً على الصورة الشعرية عند الشاعر، وقد استخدم الشاعر في هذه الصورة التي رسمها لهذا الحادث ألفاظاً تدل على الغضب والغيظ مثل " قتل، ترويع، سفك للدماء، ماتوا غدراً "، كذلك استخدام أحرف المد في الصورة بهذه الكثافة يوحي بمدى الإحساس بالحرقة والفقد، ذلك الإحساس الحاد الذي جعله

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٨٢ .

يحس في أعماقه آلام أمته وأوجاعها ومن أمثلة استخدامه لأحرف المد " أيامنا، ليسمعوا، حدودنا، ديارنا، يهنأوا، ماتوا " .

واستعمال الشاعر للغة بهذه الصورة " يتمثل أبعاد تجربته الشعرية فوراء كل كلمة معنى عميق وإحساس دقيق والمواقف الشعري الذي يخوضه " (١)

فالحزن يسيطر على النص، فبتأمل عبارة " لم يهنأوا بطعامهم "، وما توحي به من إيحاءات بالظلم والجبروت، وكذلك " ماتوا غدراً " وما تحمله من وحشية وقسوة في اغتيال شباب في عمر الزهور، وكذلك اعتماد الشاعر على صيغ الاستفهام والتعجب والتساؤل والنفي، في بداية النص، كل ذلك يشير إلى أن الشاعر د/ جابر البراجة، امتاز بقوة الشعور ويقظته، واتساع مداه، ونفاذه إلى صميم الاشياء، وكان كلامه مطرباً مؤثرا في النفوس، وهي تواقة إلى سماعة واستجابته .

أنماط تشكيل الصورة عند الشاعر د/ جابر البراجة :

تمثلت الصورة الشعرية في شعر الشاعر د/ جابر البراجة بأقسامها المختلفة المفردة والمركبة فيما يلي :

أولاً : الصورة المفردة :

وهي تصوير بسيط لمعنى من المعاني دون تكثيف للصور أو تداخل فيها أو تعقيد، وغالبا ما يعتمد الشاعر د/ جابر البراجة على التشبيه في بناء صوره

---

(١) مقالات وبحوث في الأدب المعاصر، د/ صابر عبدالدايم، ص ١١٥، ط دار المعارف، ١٩٨٣ .

الشـعرية، لما فيه من ارتباط بانفعالات الشـاعر وحالته النفسـية، " فالصـورة التشـبيهية تعامل مع الواقع المحسـوس بأبعاده، ومع الجوانب الفكرية، ومع أعماق الإحساس النفسي الداخلي " (١) .

وما يمثل الصورة المفردة عند الشاعر د/ جابر البراجة قوله من قصيدته " ولدى الشهيد"(٢):

هدمت عرين آسـاد لتسـقط دولة الأبد

فالتشبيه واضح من خلال هذه الصورة التي جعل فيها الشاعر النظام البائد كعرين الأسد الذي استطاع الشهيد في ثورة ٢٥ يناير أن يزلزل أركانه ويزيل حكمه إلى ا لأبد لأن هذا النظام أساء إلى الشعب إساءة كبرى لأنه ضرب عليه حجاباً من الفقر والجمود(٣) .

فالصورة بسيطة لا تحتاج إلى عصف ذهن، كي تستبين لدى القارئ، ولا يوجد فيها تعقيد ولا التواء.

ومن الصورة المفردة كذلك قوله من قصيدة " الهجرة النبوية " (٤) :

---

(١) جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الادب فايز الداية، ص ٧٢

(٢) ديوان بشائر النور، د/ صابر البراجه، ص ٦٦ .

(٣) الرمزية في الأدب العربي، د . درويش الجندي، ص ٤، نهضة مصر، القاهرة .

(٤) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٣ .

عش اليمامة قد بدا قصـــراً تراه إلى المغيب

فقد شبه عش اليمامة الذي كان بمثابة حائط السد للرسول (ص) وصاحبه أثناء اختبائهما في الغار بالقصـــر المنيع الذي لا تســـتطيع الجيوش المغوارة اقتحامه، فالصورة عادية لا تحتاج إلى إعمال ذهن لسبر أغوارها .

ثانياً: الصورة الكلية المركبة :

وهي مجموعة من الصور الجزئية التي تتآزر فيما بينها، لتكون صورة كلية مترابطة معبرة عن فكرة الشاعر وأحاسيسه، التي أطلق لها العنان في القصيدة، فهي مشـهد متكامل، يقدم للقارئ مشـهدا حياً مفعماً بالحركة والصـوت و اللون، وتتماسك فيه الصورة .

ومن الصور المركبة قوله : [1]

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقد شـــابت ليالينا

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقـد تـاهن خطـاوينـا

فقدنـا النطق من هول وكـاد الرعـب يردينـا

ســـجنا في مســـاكننا وصـار السـجن نادينا

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٨٠.

ألا يا شـــرطة الأمل أعيــدوا أمن وادينــا

يرسـم الشـاعر د/ جابر البراجة في هذه القصـيدة صـورة مفعمة بالحزن والأسـى لحالة الانفلات الأمني التي اختلجت الشـعب المصـري اثناء ثورة ٢٥ يناير معتمدا على التشـخيص الذي يبدأ من بداية القصـيدة حتى نهايتها " فأصبح التشخيص أساسا من الأسس التي يصوغ عن طريقها الشاعر العربي الحديث صورة " [١] .

ففي البداية جعل الليالي في صورة إنسان شابت رأسه من الذعر والخوف، ثم يدخل عنصر ثان على الصورة متمثلا في الخطوات التي شخصها الشاعر في صـورة إنسـان ضـال لا يدري أين يذهب، ويدخل عنصـر ثالث متمثلاً في حالة فقدان النطق الذي جسده الشاعر في صورة شيء يمتلكه بسبب الهول و الخوف، ثم يدخل عنصـر رابع شـاخصـاً في صـورة الرعب الذي يتحول إلى وحش مرعب يقتل كل من يقابله، ثم يدخل العنصـر الخامس الذى يتمثل في صـورة المسـاكن التي تحولت إلى سـجون لا يغادرها الناس بسـبب شـدة الخوف والذعر من انتشار المساجين في الشوارع وحالة الانفلات الأمني .

ولا يخفى أن هذه الصـورة المركبة جاءت معبرة عن الحالة السـيئة التي عاشـها الشـعب المصـري في أعقاب ثورة ٢٥ يناير والتي صـاحبها انهيار الشـرطة، مما أدى إلى انتشـار الفوضـى والذعر والخوف والقتل ولذلك جاءت

(١) بناء القصيدة العربية الحديثة، على عشري زايد، ص ٧٧ .

الصـورة الشـعرية معبرة عن حالة الضـيق و القلق التي جعلت الحياة غامضـة، مظلمه، وأثارت قلق الشـــاعر خوفه من مســـتقبل الحياة في مصـــر في هذا التوقيت.

ومن الصور المركبة أيضا قوله من قصيدة " الأزهر الشريف " (١):

يأزهر الإيمان عشـــت مباركا ترعى العلوم وتنبـت الأعلامـا

أجهضـت أفكار الذين تعسـفوا بـالحســـن لمـازدتهم إقحـامـاً

وشـــرحت قول الحق في عليائه ووصـــلت بين علومنا أرحاماً

وجعلت نور العلم يســـري بيننا نهراً تفيض ميـاهـه إلهـامـاً

فهنا نجد عدة صـــور تكونت منها الصـــورة الكلية : فالأزهر كان بمثابة الحارس الذي يحمي العلوم وينبت الأعلام الذي يقومون بنشـر العلم في الأمة وهذه صـورة مفردة، ويجهض الأفكار الظلامية التي يعلوها التشـرد ويقوم على نشـر الفكر الوسـطي وهذه صـورة مفردة، ويقوم بدور المعلم الذي ينير العقول ويصـنع جسـوراً بين العلوم جاعلاً بينها آصـرة قوية وهذه صـورة مفردة، وجعل نور العلم يفيض في الأفاق كالأنهار الجارية وهذه صورة مفرده .

كل هذه الصـورة المفردة اتحدت جميعاً وتعاونت في رسـم الصـورة المركبة التي عبرت عنهـا تلـك اللوحـة الرائعـة، والتي اجتمعـت فيهـا الألوان والظلال والخطوط .

ثالثاً: الرمز :

هناك آصرة قوية بين الرمز والصورة الشعرية، إذ يلعب الرمز دور الربط والوسيط الذي ينتظم الصور الشعرية في القصيدة أو في النص الشعري، لذلك يكون الرمز محورياً وكلياً في عملية الخلق الشعري حين يمتلك نظم العلاقات الكلية للأشياء في هذا الوجود، ويعتبر الرمز، إحدى الوسائل التي يثري بها الشاعر لغته ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه، وأبعاد رؤيته المختلفة [١] .

وقد اعتمد الشاعر د/ جابر البراجة على عدة وسائل في تعبيره الرمزي منها :

أ- الإيحاء :

يستطيع الشاعر الحاذق أن يستخدم الإيحاء بطريقة إبداعية يعبر فيه عن مواقفه النفسية، حيث يلعب دوراً مهما في عملية الإبداع ويمنحها العمق والتأثير لدى المتلقي، وكلما كان الإيحاء قوياً أزداد تأثيره، لذا لابد أن يتقن الشاعر طريقة يحدث فيها تأثيراً إيجابياً يرسم من خلاله صوراً تتزاحم في ذهن المتلقي و تثير انتباهه وهذا ما يسعى إليه الشعر .

هذا وقد ترجم الشاعر د/ جابر البراجة إحساسه بالخوف والفزع من الثورة المضادة في قوله من قصيدته " استغاثة ونداء " [٢]

---

(١) بناء القصيدة العربية الحديثة، د/ علي عشري زايد، ص ١١٠ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٨٠ .

فقدنا النطق من هول وكاد الرعب يردينا

سجنا في مساكننا وصار السجن نادينا

ألا يا شرطة الأمل أعيدوا أمن وادينا

فالشاعر هنا أعلن عن موقفه الرافض لحالة الانفلات الأمني التي خاض غمارها الشعب خلال ثورة ٢٥ يناير، وما أعقبها من انتشار للسرقات والاعتداء على المواطنين الآمنين، وقد جاءت الأبيات معبرة عن هذا المعنى بصورة يعلوها الحون والاسى الشديد .

وعلى صعيد الألفاظ نلاحظ أن الشاعر استخدم ألفاظاً موحية معبرة عن سوء الأوضاع خلال هذه الفترة مثل " السجن، سجناء، الرعب، يردينا "، وقد رسمت هذه الألفاظ صورة للمعاناة أثناء حالة الانفلات الأمني في أنحاء البلاد بعد انسحاب عناصر الشرطة من الشوارع وإحراق بعض أقسام الشرطة والاعلان عن حالات تمرد للمساجين حيث انتشرت بعض أعمال السلب والنهر، فكانت الأبيات بمثابة استغاثة من الشاعر لضبط الأمور واستعادة الأمن من جديد .

ومما يمثل الايحاء في شعر د/ جابر البراجة قوله من قصيدة " اللغة العربية غريبة بين أهلها"[١]

(١) ديوان بشائر النور، د/ ج ابر البراجة، ص ٩٦ .

بالأمس ساروا في دروب جميلتى يتلمســـون الســـر في إخفاقها

فتبينوا أن الجحود وهجرها قد بدلا ما كان من أمجادها

لغة الكتاب تعيش بين حماتها في غربة يا ولينا من ضـــعفها

في بيتها باتت تعاني سُـــقمها من شدة الهجر الذي أودى بها

قد بدَّ لوها في الصـــباح وفي المـــــــــــمســـــــــــا بحروف قوم قد سعوا لضياعها

يتضح من خلال النص أن الشاعر د/ جابر البراجة كان لديه شغف وحب شـــديد للغة العربية، التي تزهو على غيرها من لغات العالم بما تمتاز به من ثراء، وســـحر ورصـــانة، ولذا آلمه ما حل بها بعد إهمال كثير من أهلها لها وتعلقهم باللغات الأخرى ومحاولة تقليد الغربيين في استخدام مصطلحاتهم، وقد جاءت الألفاظ موحية بإحساس الشاعر مثل " الجحود، هجرها، غربة، يا ولتا، تعاني، سقمها، أودى، ضياعها "، حيث رسمت هذه الألفاظ المعاناة التي تختلج قلب الشـــاعر وعقله بســـبب إهمال الكثير من حماة اللغة العربية لها ولرونقها، فانكب ناظما هذه الأبيات للدفاع عنها والتغني بجمالها وقوتها وثرائها،وأصبحت أبياته دروعاً تصد تلك الحملات التي تستهدف إضعاف اللغة العربية .

ب- الألوان :

يعد اللون بنية أساسية في تشكيل القصيدة، وركيزة هامة تقوم عليها الصورة الشعرية بكل جوانبها من الشكل إلى المضمون، إذ يتحمل اللون قدراً كبيرا من العناصر الجمالية، وإضاءات دالة تعطي أبعاداً فنية في العمل الأدبي على وجه الخصوص ..... وأصبح اللون ... لغة رمزية، ولم يقف عند حدود الدلالات البسيطة، بل تجاوزها إلى لغة الإشارة اللونية (١)

وبإنعام النظر في ديوان بشائر النور، للشاعر د/ جابر البراجة، نجد أن اللون الأبيض يتداخل مع اللون الاسود، كما يرتبط اللون الأبيض بالتفاؤل وإشراق عهد جديد كما في قوله من قصيدة " بشائر النور " التي تحمل اسم الديون ذاته (٢) :

المولد النبوي يظهر نوره فيعم كل الكون بالنفحات

ويزيل ظلم الليل من جنباته فيجئ صبح باسم الثغرات

فميلاد الرسول (ص)، كان نوراً للبشرية وبدد ظلام الجهل وغياب البصائر فكانت رسالته كالصبح الذي ينير الكون ولا يخفى أن عنصر التشخيص لعب دوراً هاما في بناء الصورة الشعرية حيث جعل الشاعر الصبح كأنا حياً ينبض

(١) اللون ودلالته في ا لشعر الأدبي نموذجاً، طاهر محمد الظواهرة، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٨ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٦ .

بالحركة والابتسامة ويتداخل اللون الابيض مع الاسود أيضاً في قوله من قصيدته " رسالة إلى المسئولين :[١]

فيا قومي حياتي لكم فداء إذا ما النور قد قشع الظلاما

فالنور هنا يوحي بإشراق التحرير والعدل على ربوع مصر، ويرتبط اللون الأسود في قوله " قشع الظلاما "، ليوحي بعهد الظلام والظلم في عصر النظام البائد .

وعلى ذلك نلاحظ أن الألوان شغلت مساحة معتبرة في توظيف الشعراء لما تتميز به من معاني ودلالات تختلف من مكان إلى آخر [٢]

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٧٩ .

(٢) شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري ا لمعاصر فترة (١٩٨٨ – ٢٠٠٧)، ص٢٠٦، أعداد : صديقة معمر، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها .

المبحث الثالث
التشكيل الإيقاعى

إن الموسيقى عنصر جوهري في تشكيل النص الشعري، فهي تكمل بقية العناصر التي يتشكل منها، ومن ثم كانت ذات صلة وثيقة بالصورة الشعرية، وتقنيات الشكل، ولغة النص الشعري يوجه عام، بل يمكن القول إن الشعر عبارة عن خيال وموسيقي، حيث لا يستوي الشعر شعرا إلا بالخيال وبوزن ذي إيقاع متناسب، ليكون أسرع وأكثر تأثيرا في النفس، فالنفس تميل إلى كل ما هو متزن ومنتظم من التراكيب .

" ويعتبر الإيقاع من أبرز عناصر التشكيل الجمالي، حيث يقوم الشاعر فيه بصهر العناصر الموسيقية في بوتقة إحساس وانفعالاته وتجربته، ليخرج لنا ألحانا تتناسب مع دوافعه ورؤيته لهذا الواقع " (١).

هذا وينقسم الإيقاع الشعري إلى قسمين :

الأول : الموسيقية الداخلية وهي التي تتكون من تآلف الكلمات، وتناسق العبارات، وجرس الألفاظ ودقة اختيارها .

الثاني : الموسيقى الخارجية التي تتمثل في الأوزان والقوافي، وكلاهما مرتبط بالآخر لأن ترتيب الموسيقى الداخلية عن طريق ترتيب الحروف

(١) الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر حسن بحيري، اعداد الباحث صهيب محمد عبدالغني المقيد، ص ١٢٥، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،غزة ٢٠١٧ م .

والكلمات يكون له الأثر الكبير في تحقيق الموسيقى الخارجية، ولذلك نجد أن للحرف موسيقى وللكلمة موسيقى وللتراكيب الشعرية موسيقى [١] :

أولاً : الموسيقى الداخلية :

تعد الموسيقى الداخلية في القصيدة الشعرية من الأهمية بمكان، حيث إنها تتفاعل مع الموسيقى الخارجية لإحداث النغم الموسيقي وإيجاد البنية الإيقاعية للقصيدة، بل هي أصعب من الموسيقى الخارجية لأن هناك بحر يحكم اشاعر بتفاعلاته ووزنه، أما الموسيقى الداخلية فتتسع لتشمل اختيار الشاعر لحروفه وألفاظه وإبداع صوره وأخيلته لإيجاد التناغم بين أجزاء الجملة الشعرية وتحقيق الثراء الموسيقي .

وتتجلى الموسيقى الداخلية من طريق عدة وسائل تكون الايقاع الداخلي وتساعد على إبراز النغم الموسيقي منها :

١ – التكرار :

وهو أحد ركائز الإيقاع ا لداخلي وأحد لبنات البناء الفني للقصيدة، وهو سمة أسلوبية تفصح عن إلحاح الشاعر على فكرته، وتأكيدها، والرغبة في توصيلها [٢]

---

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، د/ صابر عبدالدايم، ص ٢٨–٣٠، ط٣ كتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٩٣ م

(٢) مقدمة ديوان من وحي عينيك لمحمد سلمان، بقلم / د/ صابر عبدالدايم، ص٣٥، رابطة الأدب الحديث، ١٩٩٩ .

هذا ويتحقق التكرار في النص عبر أشكال عدة منها :

أ- **تكرار الحرف** : وهو من أبســـط أنواع التكرار وأقلها أهمية في الدلالة، وقد يلجأ إليه الشــاعر بدوافع شــعورية، لتعزيز الإيقاع في محاولة منه لمحاكاة الحدث الذي تتناوله، وربما جاء للشاعر عفواً دون قصد [١].

وأمثلة هذا النوع في شعر الشاعر د/جابر البراجة كثيرة منها :

تجري المطـايـا غير أن مطيهـا فـاقـت جميع الأتن في الخطوات

شـيماء بنت السـعد ترقب شـاتها فتراهـا بـاتـت تحمـل اللبنـات

في هذا المقطع الشعري كرر الشاعر حرف التاء، وهو حرف يتسم بجرس إيقاعي ترتاح له الأذن، ولا يخفى أن تكرار الحرف لا يمكن أن يخضـــع لقواعد ثابته يمكن تعميمها على النصوص الشعرية للشاعر، لاختلاف طبيعة الاسلوب والدلالة التي يحدثها كل حرف ضـــمن الســـياق في النص الواحد .... لكن مع هذا فإن تكرار الحرف يحقق اثراً واضحاً في ذهن المتلقي، يجعله متهيئاً للدخول إلى عمق النص الشعري [٢] .

---

(١) لغة الشـــعر العراقي المعاصـــر، عمران خضـــير، ص ١٤٤، ط ١، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٢ .

(٢) ظاهر التكرار ودلالاتها الفنية في شـــعر الدكتور علي مجيد البديري بقلم د/ رســـول بلاوي، صحيفة المثقف، العدد ٥١٥٦ .

ومن تكرار الحرف أيضا قوله من قصيدة " بنت النيل مروة الشربيني [١]

وقومي واصـــــرخي فيهم وقولي الحق واهــديني

وقصـــــي جريرة النــازي فقول الحق يعنينـي

لقــد قتلوني في بيــت من المفروض يحميني

فقد تكرر حرف القاف في هذا النص ثمان مرات وهو من حروف الإطباق، ويؤدي إلى تفخيم الموســـيقى، ولعل الشـــاعر عمد إلى هذا التكرار باعتبار أن هذا الحرف الصامت من أحرف الإطباق التي يمثل قضية نفسية [٢] , ومن ثم كان هذا تكراراً شعورياً، ولا يخفى أن هذا التكرار وهذا التنويع في بناء الأصوات حقق وحدة صوتيه متناغمة ومنسجمة، وأكسب ا لكلمات قيمة جمالية من خلال جرسها التميز وانسجامها وتناسقها [٣] .

ب- تكرار الكلمة :

لتكرار الكلمة أثراً عظيماً في موسيقى النص،حيث إن القيمة السمعية لتكرار الكلمة أكبر من قيمة تكرار الحرف الواحد في الكلمة، بالإضافة إلى أنه

(١) ديوان بشائر النور / د/ جابر البراجة، ص ٥٥ .

(٢) التشكيل التخيلي والموسيقي في شعر المقالح، عناية عبدالرحمن عبدالصمد ابوطالب، ص ٢٨١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩م .

(٣) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجادية، حسن خلف وآخرون، ص ٧٢، مجلة بحوث في اللغة العربية وأدابها، العدد ٨، ١٣٩٢ هـ .

يضـــفي " ضـــربات إيقاعية مميزة لا تحس بها الأذن فقط، بل ينفعل معها الوجدان كله مما ينفي أن يكون التكرار ضـعفا في طبع الشـاعر أو نقصـا في أدواته الفنية فهو نمط أسلوب له ما يسنده في إطار الدلالة [١].

ونرى د/ جابر البراجة في قصيدته " رسالة إلى المسئولين تكرار كلمة " الدستور" مرتين في قوله[٢]

هل الدسـتور قرآن سـيتلى فيرضـــى الله أو يهدي الأناما

أم الدسـتور إنجيل مصـفى يذيب الحقد أو يمحو الأثاما

فقد تكررت مفردة " الدســتور"، ليلح الشــاعر على فكرته، ويعكس انفعاله وتألمه للخلاف بين المسـئولين، وبذلك يلح على تأكيد القيمة الصـوتية والجانب الغنـائي في النص، ولا يخفى أن هذا النوع من التكرار " يمنح النص امتدادا وتنامياً في الصـور والأحداث لذلك يعد نقطةة ارتكاز أسـاسـية لتوليد الصـور والأحداث وتنامي حركة النص [٣] .

(١) التكرار ودلالته في ديوان الموت في الحياة، لعبد الوهاب البياتي، ص ١٥٦- ١٥٧، مجلة كلية الآداب واللغات، قسـم الآداب واللغة العربية،جامعة محمد خيضـر بسـكرة، بغداد .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٧٨ .

(٣) حركية الايقاع في الشـعر العربي المعاصـر، حسـن الغرفي، ص ٨٤، الناشـر افريقيا الشرق، ٢٠٠١ م .

ج- تكرار التركيب :

وهو نوع من التكرار يكشـــف عن إمكانيات تعبيرية وطاقات فنية تغني المعنى وتجعله أصـيلا، إذا اسـتطاع الشـاعر أن يسـيطر عليه وأن يجئ في موضعه، بحيث يؤدي خدمة فنية ثابتة على مستوى النص تعتمد بنحو أساسي على الصدى أو الترديد لما يريد الشاعر أن يؤكده أو يكشف عنه بشكل يبتعد به عن النمطية الاسلوبية .

ومن هذا النوع من التكرار قول الشاعر من قصيدته "مناجاة عراقى" (٤)

يـا كعبـة البيـت الحرام أنـا قـد ظلمـت من الأنـام

يا كعبة البيت الحرام

أين الحسـين بن العلي ايـن الـزبـيـر بـن الـعـوام

يا كعبة البيت الحرام

ففي هذا النوع من التكرار تظهر براعة الشـــاعر لأنه يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضـمون تلك الجمل المتكررة بوصـفه مفتاحا لهذا المضـمون الذي يتوخاه المتكلم، فقد كرر الشاعر جملة " يا كعبة البيت الحرام" في مستهل النص لتعميق الدلالة، حيث يركز هذا النمط في حالة لغوية يتم تأكيدها عدة مرات في بداية القصـيدة، ويعود هذا النوع من التكرار إلى اضـطراب نفسـية الشاعر المتوترة والتي وجدت في هذا التكرار البداية المتكئة للانطلاق والتحرر من هذا الواقع المتدهور، فهذا النوع من التكرار الاســتهلالي في بداية الجمل الشـــعرية يعكس درجة فائقة من الائتلاف والتناغم الإيقاعي على مســتوى

المفردات، والجمل، والتراكيب جميعا، باعثا فيها صـــدى إيقاعيا مثيرا يدفع الحركة التعبيرية إلى الأمام بتضافر نسقي ائتلافي في النص الشعري .

٢- التصريع :

وهو نوع من الموسـيقى يدفع بالمتلقي إلى الجو الموسـيقي للقصـيدة من بداية مطلعها وهو تقفية الشطر الأول كالثاني في أول القصيدة، وهو في الشعر كالسـجع في النثر "، وسـبب التصـريع : مبادرة الشـاعر القافية ليعلم من أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشـــعر، وربما صـرع الشـاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصـة إلى قصـة، أو من وصف إلى وصف شئ آخر ...، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة"[١].

وقد تحقق التصريع في مطالع قصائد الشاعر د/ جابر البراجة كثيراً يقول في مطلع قصيدته " الهجرة النبوية "

في سـاحة الغار العجيبْ نظر الصـــديق إلى الحبيب(٢)

فقد تلاءمت الكلمتان " العجيب / الحبيب " مع المعنى العام للقصيدة الذي يدور حول حدث تاريخي وذكرى ذات مكانة عند المسـلمين وهو هجرة الرسـول

(١) موضوعات ونصوص وقضايا حول الشعر الجاهلي، د/ محمد أحمد سلامة، ص ٦٤، الطباعة المحمدية، ١٩٨٥ م .

(٢) ديوان بشائر النور، ص ١٣ .

الكريم من مكة إلى المدينة بصحبة أبي بكر الصديق،وقد أحدث هذا التصريع نوعاً من الجرس الموسيقي العذب متلاقياً مع الموسيقى الخارجية .

ومنه أيضاً قوله في مطلع قصيدته " في قدوم شهر الخير " (١)

بشير الخير يأتينا فيوقظنا ويهدينا

فقد أحسن الشاعر د/ البراجة في اختيار الكلمات " يأتينا، ويهدينا " فهي موحية وأخاذة، ونشأ عنها الجرس الموسيقي الذي تطرب له الآذان، وأضفت على إيقاع القصيدة رونقاً وجمالاً، ومن اللفتات الفنية الجيدة في القصيدة، هذا التصريع الذي يصافح مسامعنا ف البيت الأول من القصيدة حيث صير آخر المصراع الأول منه مثل قافيته .

ونرى التصريع عند الشاعر د/ جابر البراجة في مطلع قصيدته " أحلام شيخ بعد الثورة"[١]

ماذا لو أني كنت أرقب حلمهم هل كنت حقا سوف أصنع صنعهم

فالتصريع واضح من خلال البيت حيث تلاءمت الكلمتان " حلمهم / صنعهم " مع المعنى العام للقصيدة الذي يدور حول تسجيل إعجاب الشاعر بالثورة والثوار، فأحدث نوعا من الجرس الموسيقي العذبة التي تطرب الأذن لسماعها .

---

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٧١ .

ثانياً: الموسيقى الخارجية :

١ – الوزن :

الوزن في الشعر صناعة ضرورية، وهي ما يميزه من النثر عند كثير من النقاد العرب القدماء، وبما أن الشعر صناعة فالوزن والقافية قيدان من قيودها، وعلى الشاعر أن يلتزم بهما لتتم هذه الصناعة جمالياً، ومن هنا تكون صناعة الشعر أصعب من صناعة النثر ،وهي مقيده بقيود لا يلتزم بها الناثر، وهذا ما فسره ابن سلام الجمحي في قوله " المنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر، و الشعر يحتاج إلى البناء والعروض و القوافي، والمتكلم مطلق يتخير الكلام"(١) .

وعليه فالوزن هو ذلك الانسجام الذي يتكون من مجموعات التفاعيل المتساوية، أو المتجاوبة والتي تتولد من تكرار وحدات صوتية معينة بما يسمونه في علم الموسيقى بالإيقاع(٢).

وقد تنوعت قصائد الشاعر د/ جابر البراجة في شكلها الموسيقي الخارجي فقد صاغ قصيدته " مصر الوفاء " على وزن مجزوء الكامل والتي يقول في مطلعها :

---

(١) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي،تحقيق : محمود محمد شاكر، ج١، ص ٥٦، القاهرة، د . ت .

(٢) موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، د/ صابر عبدالدايم، ص ٦٨، مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٩٣ م .

مصـــر التى رعت الوفا لن ترضـــي من قلب جفا

كيف الجفاء بأرضـــها يـزهـو بـه ولـد الـوفـا

أرأيـت صـــنعـاً مثلمـا فعل الرســـول وقد عفا

فقد صـــاغ الشـــاعر د/ جابر البراجة قصـــيدته على وزن مجزوء الكامل " متفاعلن متفاعلن .... /متفاعلن متفاعلن، وقد أتت القصـــيدة مجزوءة ســـريعة النغمات لتناسب سرعة نبض قلب الشاعر، وعاطفته الجياشة المتدفقة، ولهفته على المصالحة الوطنية وتعجله لدوران عجلة الانتاج التي توقفت بسبب أحداث الثورة .

وعلى بحر الكامل نظم قصـــيدته " في رحاب ا لبيت العتق " والتي يقول في مطلعها [1]:

ســـالت دموع العين حول الكعبة لما رأيت الناس في طوفان

فالكل قد جاء والقصـــد واحد يرجون عفو الواحد الديان

قلبي بهذا البيت صـــار معلقاً فلقد تذوق طعمة الإيمان

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ١٠٥ .

فقد تناسب موضوع القصيدة مع بحر الكامل الذي كان متصدرا أشعاره، حيث يصلح هذا البحر لجميع أغراض الشعر ولهذا فقد كثر استعماله عند القدامى والمحدثين، وقد دارت معاني القصيدة حول الحديث عن مدى الشجون والعاطفة الجياشة التي ملأت قلب الشاعر عند حديثه عن الدلالات العميقة والإيحاءات العظيمة حيث التجرد من مغريات الدنيا، ورفض وساوس الشيطان، والطواف حول الكعبة المشرفة والذي يعني حركة الحياة والإحياء حول قدسية الله سبحانه وتعالى وربوبيته، إنها حالة دينية وروحية متميزة، تستثير نوازع النفس، وتستدر العواطف والمشاعر على أن تبوح وتشكو وتناجي .لذلك فإن قصيدة الحج هي قصيدة البوح والاعتراف والمناجاة .

٢ – القافية:

تمثل القافية شطر العمل الشعري، الذي يتكون من الوزن والقافية، بالإضافة للمقومات الداخلية الأخرى : من العاطفة الصادقة، والخيال المحلق، والحاسة اللاقطة، إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالشعور .

وهي عدة أصوات تتكرر في أواخر الاشطر أو الأبيات من القصيدة وموسيقى القافية من أسس بناء القصيدة العربية في إطارها التراثي ....، وقد التزمت كل موجات التجديد الشعري بسحر إيقاع القافية الأخاذ، وكثير من ظواهر التجديد كان بدافع من ا لوصول إلى أعلى درجات التأثير الإيقاعي الذي يحدثه تنوع القوافي[١].

(١) موسيقى الشعر، د/ صابر عبدالديم، ص ١٥١ .

فالقافية تمثل أحد العناصـــر الهامة والمحددة التي تميز النص الشـــعري وتبعده عن حدود النثر، فهي تؤدي " دوراً هاما في بناء القصـــيدة، فهي تحقق رابطاً نغمياً بين أبياتها، إذ يشـد التوازي الصـوتي الموجود في نهاية الابيات أجزاء القصيدة بعضها إلى بعض "(١)

ودراسة القافية في ديوان " بشائر النور " للشاعر الدكتور /جابر البراجة تقتضـــي دراســة حروف الهجاء الأكثر تردد ا في تجارب البراجة الشـعرية في الديوان واستخدامها كروي في نهاية أبياته أو أسطره الشعرية .

وبالنظر إلى تكرار الحرف الغالب في قصـــائده وجدنا أن حرف النون من أكثر الحروف التي جاءت في ديوانه واسـتعملها رويا لقصـائده، فمثل عشـرون قصـيدة، ويأتي بعده حرف العميم الذي تردد في اربع عشـرة قصـيدة، يليه الراء وتردد ثمان مرات، ثم الهاء تسـع مرات، والتاء سـت مرات، والباء خمس مرات، واللام اربع مرات، والقاف مرتين، والكاف مرة واحدة.

ومعنى هذا أن غالبية الأصوات المستخدمة في ديوان " بشائر النور " أتت أصوات مجهورة وهي : النون، والميم، والراء، و الباء، وهذا يدل على أن البراجة يحرص على أن يكون إيقاع النهاية في شـعره واضـحا مميزا في سـمع المتلقي، وهذا يتوافق مع طبيعة الموضـــوعات التي يتضـــمنها الديوان من حديث عن المقاومة الشعبية إبان ثورة الخامس والعشرين من يناير، واصطفاف الشعب من

(١) مستويات البناء الشعري عند محمد ابراهيم ابوسنة، دراسة في بلاغة النص، د/ شكري الطوانسي، ص ٨٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨ .

أجل الحفاظ على حريته، وهي موضـــوعات تتطلب نوعاً من التحدي والممانعة وهذا يتوافق مع طبيعة الأصوات المجهورة .

فاختيار هذه الحروف رويا قد أعطى مجالا واســـعاً في الاختيار للألفاظ المعبرة عن التجربة الشـــعرية، إذ أن هذه الحروف كما يراها د/ إبراهيم انيس، أكثر شـيوعاً واسـتخداما في روي الشـعر العربي [1]، وكذلك فإن هذه الحروف تمنح النصوص والتجارب ثراء دلالياً .

ومن القصائد التي جاء الروي فيها حرف النون المفتوح، هذه القصيدة التي جاءت مفعمة بالمشـاعر المتأججة والتي تغلب عليها الخوف والفزع والإحسـاس بالهلع لتردي الأوضاع الأمنية بعد الثورة مباشرة والتي يقول فيها :[2]

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقد شـــابت لياليـنا

أغـيـثـونـا أغـيـثـونـا فقد تـاهت خطـاوينا

فقـدنـا النطق من هول وكـاد الرعـب يردينـا

ألا يا شـرطة الشـعب أعيـدو قـدركم فينـا

(١) موسيقى الشعر، د/ ابراهيم انيس، ص ٢٤٨، ط دار الانجلو المصرية ط ٥، ١٩٧٨ .

(٢) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص

والتكرار هنا " أغيثونا " التي تكررت أربعة مرات لها دلالتها الفنية، وتبرز إلحاح الشاعر في إبراز فكرته، وتوحي بمشاعره الفزعة وأحاسيسه القلقة من جراء ما يحدث من انفلات أمني، وفراغ الشرطة المنكسرة، وجاءت الألفاظ تسري فيها نغمة الخوف والفزع لنرى " أغيثونا، شابت، تاهت، فقدنا، الهول، الرعب، يردينا " بالإضافة إلى أن حرف النون يمتاز بالقوة والوضوح السمعي الذي يحمل هذه المشاعر والأحاسيس معلومة للجميع ملقيةعلى أسماعهم، كما أن المدات أعطت إحساسا بعمق القضية وثقل مهمة التخلص من هذه الآلام،كما أن الياء قبلها أعطت مساحة لامتداد الصوت ليصل إلى كل الأرجاء علّ الشاعر يجد من يخلصه من همومه وآلامه .

ومن القصائد التي جاء فيها الروي الميم قوله [1]

لم أرتعشت يداكم حين صغتم لجانا فزّقتْ قوما عَظِاما

صبرتم في عهود قد تلاشت فبات الصبر في يدكم وساما

فكيف بكم وقد صرتم أسوداً يزول الصبر أو يلقي الملاما

أليس بداركُم رجل رشيد يزيُل الخُلْف أو يُرضي الغلاما

هَلُمُّوا واجمعوا من كل صف بليغاً تبلغون به المراما

(١) ديوان بشائر النور، د/ جابر البراجة، ص ٧٨ .

فالشـــاعر هنا اختار حرف الميم رويا لقصـــيدته، وهو حرف له من القيم الصـــوتية ما يناســـب جو القصـــيدة وإيقاعها الجهوري الذي يمثل المعاناة التي يعيشـها الشـاعر بسـبب الاختلاف الدائم بين اعضـاء اللجنة التأسـيسـية الأولى لكتابة دســـتور بعد الثورة، كما أن الألف قبل الميم تبدو وكأنها تحســـم خالات الصراخ والتساؤل والدعاء، ويزيد مما يزيد من حالة الغضب الشديد التي تعتور قلب الشاعر وأحاسيسه، فالميم تعبر في هذه التجربة عن مدى الأحزان والضيق الشديد الذي ملأ الشاعر بوضوح شديد .

إن القيمة الصـــوتية والنفســـية للقافية لا تظهر بجلاء ولا يبوح بها النص الشـعرى إذا ظلت دراسـتنا للقافية دراسـة آلية شـكلية بعيدة عن اسـتبطان النص والتغلغل في لب التجربة والوقوف على خصائص الحروف ومحاولة تفسير سر اختيار قافية بعينها دون الأخرى وهذا ما ظهر جليا في اختيار البراجة قوافى معينة لموضـــوعات معينة وهذا يدل على أن هناك علاقة بين اختيار الشـــاعر للروى وبين تجربته الشعرية

وهكذا يتضح من خلال هذا البحث تعدد الموضوعات الشعرية التي احتواها ديوان بشائر النور ما بين اجتماعية، وسياسية، ودينية، ووطنية، وقد لمسنا من خلال التناول للرؤية الشـــعرية للديوان طائرا يغرد على أيك الشـــعر حيث يأخذنا الشـاعر هنا وهناك ويطوف بنا في أرجاء ديوانه بين الأشـجار والأسـرار والأطيار، فنحس أننا في روضـــة وارفة نقطف من ثمارها ونشـــرب من مائها ونتمتع بطيب هوائها ونسمع تغريد أطيارها.

ولست أدعى أننى أحطت بكل الجوانب والقيم الجمالية في ديوان بشائر النور للشاعر الدكتور جابر البراجة، وإنما هي ومضات وإضاءات وخطوات متواضعة في صرح نتاج شاعرنا الكبير لإبراز الجوانب الموضوعية والفنية في شعره فإن أصبت فذلك فضل من الله تعالى وحده وإن أخطأت فحسبى ما بذلت من جهد متواضع بغية أن يأخذ هذا العلم مكانته بين أدباء مصر، وتحظى أشعاره بمزيد من البحث والدراسة .

الخاتمة

الشاعر الدكتور جابر البراجة من شعراء الأزهر المعاصرين ومن أعلامه البارزين، وما يزال يصدح بالشعر ويعزف قصائده على قيثارة النغم، وقد تميز شعره بقوة المعاني، وشدة الانفعال، وصدق التجربة، وروعة الألفاظ ودقتها، وجمال الصورة وروعتها .

ومن الملاحظ تنوع المحاور التي تضمنها ديوان " بشائر النور "، واتسمت أساليبه بالسلاسة والعذوبة والبعد عن التعقيد، كما ظهر من خلال معايشة الديوان نجاح الشاعر في استغلال طاقات اللغة ودلالتها الصوتية، وجرس ألفاظها وإيقاعات حروفها، وانسجام تراكيبها لتعطي البناء الشعري الحيوية والجمال .

ولعل هذا البحث يفتح الطريق أمام الباحثين لمزيد من الدراسات حول الشاعر الدكتور جابر البراجة، كما يدفع لدراسة شعر شعراء الأزهر المعاصرين لما فيه من الجدة والطرافة الموضوعية والفنية .

وبعد فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي :

١- ثراء التجربة الشعرية وتنوعها عند الشاعر الدكتور جابر البراجة .

٢- التنوع الفني والأسلوبي في شعر الشاعر .

٣- عمق التجربة الشعرية بأبعادها الموضوعية والفنية في شعر الشاعر .

٤- توجيه نظر الباحثين لدراسة شعراء الأزهر وإظهار مواهبهم الشعرية وإلقاء الضوء عليها .

٥- فتح الطريق أمام الباحثين لمزيد من الدراسات والبحوث ودعمها، وفتح آفاق النشر أمامهم في مختلف وسائل النشر.

٦- العناية بالتراث الأدبي لأعلام الأزهر في مختلف العصور وتسليط الضوء عليه من خلال البحث والدراسة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الأدب وفنونه – محمد مندور – ط دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٢- التشكيل التخيلي والموسيقي في شعر المقالح – عناية عبد الرحمن عبد الصمد أبو طالب – دار الفكر – دمشق .

٣- الشاعران المتشابهان – أبو القاسم بدري – دار المعارف – مصر .

٤- الرمزية في الأدب العربي د/ درويش الجندي – نهضة مصر – القاهرة ..

٥- الكشف عن أسرار القصيدة د/ حميد سعيد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦- اللغة والمعنى والسياق – جون لاينز – ترجمة عباس صادق عبد الوهاب – سلسلة المائة كتاب – دار الشؤون الثقافية العامة سنة ١٩٨٧م .

٧- اللون ودلالته في الشعر (الشعر الأردني نموذجا) – طاهر محمد هزاع – دار الحامد للنشر والتوزيع ط٨ سنة ٢٠٠٨م .

٨- النقد الأدبي الحديث د/ محمد غنيمي هلال – دار نهضة مصر .

٩- أبو القاسم الشابي د/ عبد الحفيظ حسن مطبعة التيسير بالقاهرة .

١٠-آراء وأحاديث في الوطنية القومية – ساطع الحصري – دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٩٦م .

١١-أسواق الذهب – أحمد شوقي – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة .

١٢-أصالة النص – اعتدال عثمان – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٨م .

١٣-إنتاج الدلالة الأدبية د/ صلاح فضل – مؤسسة مختار للنشر والتوزيع – القاهرة ط١ ١٩٨٧م .

١٤-بناء القصيدة العربية الحديثة – علي عشري زايد – مكتبة دار العلوم سنة ١٩٧١م .

١٥-تاج المدائح النبوية – شرح قصيدة البردة لكب بن زهير – د/ صابر عبد الدايم ط دار هديل سنة ١٩٩٤م .

١٦-جماليات الأسلوب (الصورة الفنية في الأدب العربي) فايز الداية – دار الفكر المعاصر – بيروت ط٢ ١٩٩٦م .

١٧-حركية الإبداع – خالدة سعيد – ط دار العودة – بيروت – لبنان سنة ١٩٨٢م .

١٨-دراسات في الشعر العربي المعاصر د/ شوقي ضيف ط دار المعارف .

١٩-ديوان بشائر النور – أ.د/ جابر محمد محمود البراجة – ط دار الزهراء للطباعة –الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م .

٢٠-رثاء الحيوان في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي د/ السيد أحمد عمارة ط١ ١٩٩٦م.

٢١-طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر ط الهيئة العامة لقصور الثقافة .

٢٢-في النص وقراءة النص د/ محمد احمد العزب – مطبعة الإيمان .

٢٣-في النقد الأدبي د/ شوقي ضيف ط٢ ط دار المعارف – القاهرة .

٢٤-قضايا العصر في ادب أبي العلاء المعري – د/ عبد القادر زيدان – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٥-لغة الشعر العراقي المعاصر – عمران خضير- الكويت – ط وكالة المطبوعات .

٢٦-مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبو سنة – دراسة في بلاغة النص د/ شكري الطوانسي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٧-مقالات وبحوث في الأدب المعاصر د/ صابر عبد الدايم ط دار المعارف سنة ١٩٨٣م .

٢٨-من القيم الإسلامية في الأدب العربي د/ صابر عبد الدايم – مكتبة الخانجي – القاهرة ط٣ سنة ١٩٩٣م .

٢٩-موضوعات ونصوص وقضايا حول الشعر الجاهلي د/ محمد أحمد سلامة – الطباعة المحمدية القاهرة .

فهرس الدوريات:

١- الرثاء عند شعراء الحلّة – أ.د/ أسعد محمد علي النجار – مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية – المجلد الثاني العدد ٢ سنة ٢٠١١م / ٢٠١٢م .

٢- دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجادية – حسن خلف وآخرون – مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها سنة ١٣٩٢هـ.

٣- التكرار ودلالته في ديوان الموت في الحياة لعبد الوهاب البياتي – مجلة كلية الآداب واللغات – قسم الأدب واللغة العربية جامعة محمد خضير – بسكرة – بغداد سنة ٢٠١٢م .

٤- ظاهر التكرار ودلالتها الفنية في شعر الدكتور علي عبد المجيد البديري – صحيفة المثقف – العدد ٤٢٣٧ سنة ٢٠١٨م .

فهرس الرسائل العلمية :

١- الرؤية والتشكيل الجمالي في شعر حسن بحيري – رسالة ماجستير للباحث صهيب محمد عبد الغني المقيد – كلية الآداب والعلوم – غزة ٢٠١٧م .

٢- شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر (١٩٨٨م – ٢٠٠٧م) رسالة ماجستير للباحثة / صديقة محمد – جامعة منتوري – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها – دمشق .